الخطاب الدعوي

بين سماته الأصلية وأزمته العصرية

بقلم

دكتور

مجدي عبد الغفار حبيب

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين — القاهرة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على الرسول المعلم ﷺ ، الذى أوتى جوامع الكلم ، ليكون فى الذروة من البلاغ والبيان ، فكان أفصح العرب لساناً وأبلغهم بيانا ، وأصدقهم حديثا ﷺ .

أما بعد

فساهمة فى النهوض والارتقاء بوسائل الخطاب الدعوى المعاصر ، وإلقاء الأضواء على بعض السمات الغائبة لهذا الخطاب ، والتى كان غيابها سببا فى أزمته المعاصرة ، وبعده عن الدور المنوط به ، سواء كانت هذه الازمة داخلية كالتى لحقت بالشخصية المسلمة ، فأفقدتها فاعليتها وأقعدتها عن أداء رسالة الإسلام حتى ضعف أداؤها ، وخفت صوتها ، وأفل نجمها ، أوكانت هذه الأزمة خارجية من فعل الغزو الفكرى ، والتضليل الثقافى ، بعد أن سكتت أصوات المدافع ، وتوارى أصحابها ، وأصبحت المعركة الحقيقية المستمرة والفاصلة هى معركة الخطاب مسموعاً كان أومقروءا أومرئياً .

وإن العامل فى حقل الدعـــوة اليوم ، يلاحظ التأثر السلبى لبعض وسائل وأساليب الخطاب الدعوى ، والذى جعله عاجزاً عن استيعاب أقرب الناس إليه ، وأكثرهم استعداداً للتجاوب معه ، وهم رواد المسجد ، علاوة على كسب الآخرين . إذ هو خطاب أقرب إلى السلبية فى بعض الأحيان . من أجل ذلك كان إختيارى لهـــذا الموضع ألا وهو الخطاب الدعوى بين سماته الأصلية وأزمته العصرية ، تناولت فيه الحديث عن سمات الخطاب الدعوى الأصيل وضوابطه ، ثم تحدثت عن مثالب الخطاب الدعوى المعاصر وعلاجها ، والله أسأل أن يجعلنى عند حسن ظن أساتذتى بى وأن يجعل بى هذا موازين حسناتى يوم القيامة .

والله ولى التوفيق ؟

دور الكلمة :

الكلمة مقروءة أو مسموعة لها الدور الفعال ، والأثر البارز ، والموقف الحاسم فى عمليات التغيير الإنسانى على صعيد الدين والفكر ، والعلم ، والسياسة ، والإجتماع ، والإقتصاد . . فالكلمة هى وعاء المعنى ، ورسوله إلى القلوب والعقول ، وهى القناة التى يتفاهم الناس من خلالها ، ويتناقلون الأفكار والآراء عن طريقها . . وهى جوهر الحياة بكل ألوانها وأشكالها ، فمنها تنطلق شرارة الثـــورات والتغييرات خاصة إذا كانت واعية منبثقة عن معطيات الواقع الحضارى ، فتغذى العقول وتصنعها ، وتصوغ المشاعر وتلونها وتحرك المخاطبين وتنبههم ، وتوضح لهم معالم الطريق وتمثل لهم الضوء الكاشف والزاد المغذى بالطاقات المعنوية .

وإذا كانت الكلمة صادقة التعبير والتوجه كانت مفتاح كل نقلة معرفية فاعلة ، وكان لها الأثر البارز فى توجيه المجتمع نحو التقدم والرقى ، ومن خلالها تتجلى مظاهر الرفعة والإستقامة ، وبها يقاس التطور والرقى ، وعبرها تستبين الغايات والمقاصد .

والكلمة أداة من أدوات الدعاية ، بل أهم وسيلة فى خدمة الأفكار المختلفة وإقرارها فى أعمال الناس ، لذلك كان مداها فى نشر الدعوات بعيداً .

ومن أجل هذا الدور المعروف للكلمة فقد اتخذها أصحاب المذاهب الباطلة والفلسفات المعاصرة ، لساناً ينطق لها ، ويعمل على نصرتها ، حتى أضحى للباطل صوت كاد يشوش على صوت الحق فى كثير من المواطن

واستطاع أصحاب الدعوات المشوهة أن يحصلوا على نصر كبير لأنهم زوروا وذوقوا كثيراً ، وتفننوا فى عرض ماعندهم على أوسع نطاق فى العالم كله ، مستترين وراء دعاوى الإصلاح الكاذبة ، والوعود البراقة الناعمة .

وكانت النتيجة أن تقدم الباطل وأوغل . . . واستعلت فرقه وطوائفه ومذاهبه الهدامة .

على أنه من المعلوم أن ماحققه أصحاب الباطل لايعود إلى جودة فيما عندهم ، ولا إلى أصالة فى بضاعتهم ، وإنما يعود ذلك إلى نشاط أهل الباطل فى عرض مفترياتهم ، وخذلان أهل الحق فى تبليغ رسالتهم[1] .

وإذا فسح المجال أمام الكلمة الطيبة التى تنشرها الألسنة الصادقة النزيهة والأفواه المتوضئة المخلصة ، يفتضح عند ذلك أمر الكلمة الخبيثة الشريرة ، ويتوارى أهلها ، قال تعالى : « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء »[2] .

(إن الكلمة الطيبة — كلمة حق — كالشجرة الطيبة ، ثابتة سامقة

---

(١) انظر كتاب الأمة مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى / نخبة من المفكرين والكتاب ص ٨٦ بتصرف

(٢) سورة إبراهيم ٢٤—٢٧

مثمرة . . ثابتة لاتزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل ؛ ولا تقوى عليها محاول الطغيان — وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان — سامقة متعالية تطل على الشر والظلم من عل — وإن خيل إلى البعض أحياناً أن الشر يزحمها في الفضاء . .

وهي مثمرة لاينقطع ثمرها ، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة آناً بعد آن . .

وإن الكلمة الخبيثة — كلمة الباطل — لكالشجرة الخبيثة ، قد تهيج وتتعالى وتتشابك ؛ ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى .

ولكنها تظل نافشه هشة ، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض .. وماهي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء »[1] .

الكلمة القرآنية والعطاء الذي لاينفد :

إن القرآن الكريم له أثر كبير في حياة الناس عملياً ونظرياً ، وقد تشكلت الأمة المسلمة من خلال الخطاب القرآني بكلماته التي لاتنفد معانيها .

قال تعالى : « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً »[2] .

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب ج ٤ ص ٢٠٩٨ — ٢٠٩٩ ط دار الشروق .

(٢) سورة الكهف : ١٠٩

والقرآن يخاطب الإنسان في كل زمان ومكان مذكراً وواعظاً له بقوله تعالى أمراً رسوله ﷺ « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »[1] .

ولا شك أن الخطاب القرآني هو الذي كان وراء تحول المجتمع العربي من مجتمع جاهلي إلى مجتمع متحضر قاد الإنسانية ردحاً من الزمن في طريق الخير والأمن والسلام ، وذلك بما تحمله الكلمة القرآنية من قوة دافعة محركة ، وما فجرته في النفس البشرية من قدرة هائلة على العطاء والبذل لم تستطع قصائد الشعر ومعلقاته أن تفجرها قبل ذلك .

وقد تميزت الكلمة القرآنية بالشمولية والواقعية والتكامل الذي استطاع به العقل المسلم أن يقوم بدوره كاملا ، فيرتب الكلمة في كل صورها المقروءة والمسموعة وينظمها ويوظفها التوظيف الإيجابي حتى أصبح النموذج الذي جعله الله شاهداً على بقية الخلق .

قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »[2] .

وظل الخطاب القرآني فعالا ، قادراً على تعبئة الجماهير ودفعها إلى البذل بالنفس والمال والوقت والفكر ، يخاطب عقل الإنسان وهو يدعوه إلى التفكر في ملكوت السموات والأرض والنفس والحياة ، ويخاطب قلب الإنسان وهو يستشعر دوافع الرغبة والحب والكراهية ، وينمي فيه حاسة إدراك مواطن الجمال ، ويخاطب حواسه وهو يدعوه إلى التدبر في خلق الله [3] .

(١) سورة ق : ٤٥

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

(٣) مجلة الوعي الإسلامي ص ٨٢ بتصرف العدد ٣٢١ سنة ١٤١٣ هـ

هذا وتمتاز الكلمة القرآنيه فى خطابها الدعوى بعدة مميزات منها :

١ — إنها كلمة حق يراد بها حق ، فهى لا تعرف الزور ولا الإساءة قال تعالى : « قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم »[١] .

٢ — إنها كلمة صدق دائم . قال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه »[٢] .

٣ — إنها كلمة موعظة دائمة وتذكير مستمر ، لا تعرف فى سبيل الله الكلل والملل . قال تعالى : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون »[٣] .

٤ — إنها كلمة عدل وإحسان . قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان »[٤] .

٥ — إنها كلمة حقيقة نظيفة الغاية والوسيلة تأمر بتحرى الصدق . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »[٥] .

٦ — إنها كلمة مرنة تخاطب الناس جميعا بالحكمة والموعظة الحسنة فى أى مكان وفى كل زمان . قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن . . . »[٦] . إلى غير ذلك من

---

(١) سورة سبأ : ٢٦ (٢) سورة العنكبوت : ٦٨
(٣) سورة الأعراف : ١٦٤ (٤) سورة النحل : ٩٠
(٥) سورة الحجرات : ٦ (٦) سورة النحل : ١٢٥

سمات الخطاب الدعوى فى آيات القرآن الكريم الواضحة ، والفرد المسلم وغير المسلم غاية مراده ومنتهى طمأنينيه عبر تلكم المكانة السامية للخطاب الدعوى فى كلمات القرآن ، فيبيت آمناً سعيداً وراضياً بما يستقر من آيات القرآن فى ذهنه ووجدانه .

السمات المميزة للخطاب الدعوى الإسلامى :

اعتنى الإسلام عنـــاية فائقة بالكلمة ، وأبرز دورها ، ووضعها فى إطارها الصحيح ، واهتم بها اهتماماً كبيراً إذ جعلها الوسيلة لإرشاد الناس وتربية الفرد ، وتوعية المجتمع وصياغة الإنسان صياغة صالحة .

والكلمة فى الخطاب الدعوى تبعث فى رجالها الثقة بالنفس والقدرة على المواجهة ، وتهىء لهم المناخ الصحى الذى يمكنهم من تحقيق النجاح .

ونستطيع أن نلخص أهم سمات الخطاب الدعوى فيما يأتى :

أولا : البساطة والوضوح :

يقوم الإسلام على عقيدة واضحة ألا وهى عقيدة التوحيد وهى لا تتطلب خبرة طويلة أو تجربة عميقة ، ولا تثير أية مصاعب عقلية للفهم والاستيعاب .

بل إنها تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية فى الإنسان ، نظراً لخلوها من التداخلات والحيل اللاهوتية ، ومن ثم فإن أى فرد يستطيع أن يستوعبها ، ويشرحها ، حتى أقل الناس خبرة بالأصول العقدية لهذا الدين . . وفى الحقيقة إن بساطة تعاليم الإسلام ووضوحها تعد من

أبرز العوامل الفعالة فى نشر الرسالة[١] .

إن الخطاب الدعوى فى الإسلام تميز ببساطة فى اللفظ ووضوح فى المعنى ، وجمال فى الأسلوب ، ولهذا لم يعرف التاريخ خطاباً دعوياً أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة فى زمن قياسى ، كما فعل الخطاب الإسلامى الدعوى .

إن فهم هـذا الخطاب لا يحتاج إلى مقدره عقلية خاصة ، وملكات فائقة .

ويرجع ذلك إلى طبيعة هذا الدين الذى يخاطب الفطرة ، ويلبى رغبات الإنسان ويتعامل مع ظروفه ، ويرد على تساؤلاته ، فما من قضية للإنسان إلا ويجدها معروضة بصورة سلسة سهلة من خلال الخطاب الدعوى الإسلامى ، وقد أنعم الله تعالى على الناس بتيسير الرسالة الخاتمة عن طريق هذا الخطاب الدعوى ، ليتمكنوا من استيعابها والعمل وفق معطياتها قال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[٢] .

وبهذا المنهج المتميز استطاعت الدعوة الإسلامية أن تجذب انتباه الجماهير وتصل إلى عقولهم ووجدانهم دون صعوبة ، وتلبى رغبتهم فى الوقوف على تبريرات مفهومة وبسيطة ونهائية للقضايا والمسائل العامة التى تثار فى المجتمع[٣] .

---

(١) تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والإجتماعى / حسن إبراهيم ، جـ ١ ص ٢١٦ مكتبة النهضة المصرية ط ٤

(٢) سورة البقرة ١٨٥

(٣) الرأى العام فى الإسلام د . محى الدين عبد الحليم ص ٢٠٢ ط ٢ القاهرة دار الفكر العرب ١٩٩٠ م

ثانياً : التنوع والتطور :

يتميز الخطاب الدعوى الإسلامى بالثراء فى مادته ، والتنوع فى معالجاته ، ويأتى ثراؤه من النظرة الشمولية للإسلام ، فلم يدع الإسلام صغيرة ولا كبيرة فى دنيا الناس إلا وتطرق إليها ، وصدق الله تعالى إذ يصف كتابه بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »[١] .

ومن ثم فإن الخطاب الدعوى لم يقف حائراً أمام مشكلة من مشكلات الحياة ، فى أى مكان وفى أى زمان ، لأنه يشتمل على الحلول العادلة لكافة القضايا والمشكلات .

ويمتاز الخطاب الدعوى أيضاً بالتنوع ونعنى به : تعدد أشكال الأساليب وتنوعها وتنوعاً يغطى حاجات الدعوة ، ويلبى متطلبات الفطرة .

فالدعوة قد تحتاج إلى أسلوب القوة كما تحتاج إلى أسلوب اللين ، وقد تحتاج إلى أسلوب مواجهة الخطأ وتعيينه ، كما تحتاج إلى أسلوب التعميم وعدم المواجهة ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول أحياناً عند الإنكار « ما بال أقوام يقولون كذا . أو يفعلون كذا »[٢] .

وكان يواجه أحياناً صاحب الخطأ فيقول « ما بال مقالة بلغتنى عنكم »[٣] ؟!

---

(١) سورة النحل ٨٩

(٢) صحيح البخارى رقم ٦١٠١ ، فتح البارى ١٠ ص ٥١٣

(٣) فتح البارى جـ ٤ ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، صحيح مسلم ١١٥٩ ، ١٤٠١

والداعية الحكيم هو الذى يحسن استخدام الأسلوب المناسب فى الموقف المناسب ، فدائرة الاختيار بين الأساليب واسعة جداً لاتخفى على المتتبع لها[١] .

كما يمتاز الخطاب الدعوى بالتطور وعدم الثبات على شكل واحد ، فالأساليب الدعوية تختلف من وقت إلى أخر ومن حال إلى حال وذلك بحسب المقتضيات والأزمان .

فقد يصلح أسلوب دعوى مع شخص معين فى حال معينة أو عمر معين ، فإذا استمر المدعو على واقعه ، ولم يفده ذلك الأسلوب ، كان على الداعية أن يغير من أسلوبه بما يتناسب مع حال المدعو ، ويطوره إلى ما يراه أصلح له[٢] .

والعجب من دعاة العصر الذين يقفون متجمدين على أساليب دعوية لا يفكرون فى تطويرها ، بل ويتحرجون من تغييرها وكأنها ثوابت شرعية فى نظرهم .

وذلك فى الوقت الذى طور فيه أعداء الإسلام من أساليبهم ، وتفننوا فى تنويعها وتشكيلها ، يستوعبوا حياة الناس بها !!

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانونى ص ٢٧٧ — ٢٧٨ مؤسسة الرساله

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٨

ثالثاً : خطاب جماعى :

إن من مميزات الخطاب الدعوى الاسلامى أنه خطاب موجه فى معظم الأحوال إلى الجماعة لا إلى الفرد فالذى يقرأ القرآن الكريم يجد فيه عشرات الآيات التى تدل على ذلك ومن هذه الآيات قوله تعالى : « وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »[١] .

وقال تعالى : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاه وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور[٢] .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون . وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »[٣] .

وقال تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعوا إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم »[٤] .

والآيات القرآنية التى خاطبت المؤمنين أو المسلمين فاقت فى العدد

---

(١) سورة التوبة ١٠٥

(٢) سورة الحج ٤١

(٣) سورة آل عمران ١٠٠ — ١٠١

(٤) سورة آل عمران ١٠٤ — ١٠٥

أربعمائة آية بكثير ، وما هذا إلا دليل على أن الخطاب الإسلامى جماعى[1] فى عمومه ، والعبرة فى ذلك يسجلها بعض علماء الاجتماع الإسلامى بقوله : قلما يخاطب القرآن الكريم الفرد ، وأكثر ما يتجه بخطابه إلى الجماعة تشريعاً وتوجيهاً ، وتنبيهاً وتنويهاً ، وذلك إظهاراً لكيان الجماعة ووظيفتها ومسئوليتها فى الحياة ، وإشعار الفرد بوجوده الجماعى ، وتوكيد المفهوم أن الحياة جماعة[2] .

وأما الأحاديث النبوية الشريفة التى جاء فيها الخطاب جماعياً فأكثر من أن تحصى ، وليست مئات كالآيات وإنما هى ألوف[3] ، وأذكر منها ماروواه الإمام أحمد بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : (الجماعة رحمة والفرقة عذاب) وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (. . عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) .

وروى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (. . . يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار) .

---

(١) فقه الدعوة الفردية / د. على عبد الحليم محمود ص ٢٣٣ ط دار الوفاء .

(٢) نقلا عن أضواء فى الثقافة الإسلامية / د. مصطفى أبو سمك ص ١٠٥ مطبعة الفجر الجديد سنة ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .

(٣) فقه الدعوة الفردية / ص ٢٢٣

رابعاً : قيام الخطاب الدعوى على الكلمة الطيبة والأسلوب الحسن :

يقوم الخطاب الدعوى الإسلامى على أساس ثابت ومبدأ راسخ فى تعبئة الجماهير ومخاطبتهم بالكلمة الطيبة والحكمة البالغة ، من غير عصبية أو عنف ، والحكمة تجعل الداعى إلى الله يقدر الأمور حق قدرها ، كما تجعله ينظر ببصيرة المؤمن ليرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال ، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب ، فتنشرح له صدورهم ويرون فيه المنقذ لهم ، الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم ومستقبلهم .

والموعظة الحسنة هى الكلمة الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل إلى عقول الناس وقلوبهم ، فيجدون فيها الخير والسعادة . . وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب ، ولا تسىء إلى أحد ، ولا تعنف أحداً ، الكلمة الطيبة الرقيقة التى تلمس القلوب فترق لها وتخالط النفوس فتهش لها وتفرح بها[1] .

وإمعاناً فى التسامح والرحمة والرفقة ، حث الخطاب الإسلامى على التحلى بمكارم الإخلاق وحميد الصفات ، ولين القول حتى مع الأعداء والجهلاء قال تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »[2] .

فهذه صفات من جملة صفات عباد الرحمن وهى ألزم ما يكون للدعاة فهم فى وجدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات

---

(١) من كنوز السنة محمد الصابونى ص ١٢٩ دار الفتح الإسلامى .

(٢) سورة الفرقان ٦٣

كبيرة ، لا يلتفتون إلى حماقة الحمق وسفاهة السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى فى جدل أو عراك ، ويترفعون عن المهاترات مع المهاترين الطائشين : « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » لا عن ضعف ولكن عن ترفع ولا عن عجز إنما عن إستعلاء وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفق فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع[1] .

وحث الخطاب الإسلامى على الكلمة الطيبة لمطلق الناس .

قال تعالى : « وقولوا للناس حسناً »[2] .

وهى النصيحة لهم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم فهذا هو معنى قوله تعالى : « وقولوا للناس حسنا » وليس معنـــاه مجرد التلطف بالقول أو المجاملة فى الخطاب ، فالحسن هو النافع فى الدين أو الدنيا[3] .

والقارىء لسيرة النبى ﷺ يلمس هذا المعنى فى دعوته ، ويراه مجسداً فى كل معانيها ، سواء مع المؤمنين من أمته أم مع أهل الكتاب ، أو مع غيرهم حتى مع الطغاة الجبارين ، ومع المشركين والمنافقين ، فقد إلتزم ﷺ أمر الله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[4] .

---

(١) فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٥٧٨

(٢) سورة البقرة ٨٣

(٣) تفسير المنار / محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٦٨ دار المعرفة بيروت — لبنان .

(٤) سورة الأعراف ١٩٩

فاستخدم ﷺ أسلوب اللين والرحمة والشفقة فى معاملته للناس جميعاً .

وهكذا يكشف الخطاب الدعوى الإسلامى عن سمو منهجه ، وسماحة أسلوبه ، ورقى خططه ، وسهولة تطبيقه .

خامساً : مراعاته لمنهج التدرج :

من السمات المميزة للخطاب الدعوى الإسلامى مراعاته لسنة التدرج ، فهو يتعامل مع بشر يعيش فى دنيا لها جواذب ، ونفس لها شهوات فحرص على معرفة المداخل والأبواب التى يدخل منها إلى النفس ، فكل نفس لها تشكيلها الخاص ، ومن ثم الوسيلة الخاصة لمعالجتها ولذلك وجدنا رسول الله ﷺ يعطى كل إنسان ويوجهه على حسب قدراته وميوله .

ذلك لأن نفوس البشر تألف الاعوجاج والتمرد ، فإذا باشرتها بالإصلاح دفعة واحدة فإن ذلك يعتبر مصادمة لها ، فينبغى التلطف والتدرج والتعرف على مداخلها وهذه سنة الله تعالى فى طريق دعوة الناس[1] .

وبالتأمل فى نزول الرسالات نجدها قد سلكت طريق التدرج . . . ويظهر ذلك جلياً فى عصر التوراة حيث كانت النصائح التى نزلت على موسى ملائمة لأحوال الناس يومئذ : « وكتبنا له فى الألواح من كل شىء

---

(١) الدعوة قواعد وأصول / جمعه أمين عبد العزيز ص ١٨٦ بتصرف ط دار الدعوة .

موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها »[١] .

وعندما صعدت الإنسانية فى مدارج النضج الفكرى ، واتسعت آفاقها العامة جاء القرآن الكريم فى أسلوب أعمق وأرحب ، واتخذ فيه الحديث عن الله وعن الدار الآخرة صوراً من البيان العالى والإقناع العلمى . . . وتضمن من القواعد الأحكام مالا حاجة للناس بعده إلى إضافة أخرى تصلح بها النفوس أو المجتمعات أو الدول[٢] .

وقد نزل هذا الكتاب السماوى الخاتم منجماً مفرقاً قال تعالى : « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »[٣] .

وذلك لإستدراج العرب وتعريفهم أنفسهم بأوامره ونواهيه على حسب النوازل والحوادث — فمن الحكمة أن الدواء عند حدوث البلاء — ليكون تحولهم عن أخلاقهم وعاداتهم بسهولة ويسر . . . فلو نزل عليهم القرآن دفعة واحدة لثقلت عليهم التكاليف ولنفرت قلوبهم عن قبول مافيه من الأوامر والنواهى[٤] .

وصدق الله العظيم حيث يقول « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه

---

(١) سورة الأعراف ١٤٥

(٢) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة / الشيخ محمد الغزالى ص ١٨ ط دار الكتب الإسلامية .

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

(٤) روح الدين الاسلامى / عفيف عبد الفتاح طباره ص ٢٤ ط دار الملايين — بيروت .

القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً »[١] .

إن النفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل سامل للمنهج الجديد إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج ، وتتدرج فى مراقبته رويداً رويداً ، وتفاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً . . . فجاء لذلك منجماً وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة[٢] .

وتوضح السيدة عائشة رضى الله عنها سنة التدرج فى نزول القرآن الكريم بقولها « أول مانزل من القرآن سور المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لاندع الزنا أبداً[٣] .

لقد راعى المنهج الإسلامى فى خطابه تغيير النفوس شيئاً فشيئاً ، وإعدادها لتقبل الأوضاع الجديدة وتهيئة نفوسها التائهة لتقبل الحق فحين فرض الفرائض كالصلاة والصيام والزكاة فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة .

فالصلاة فرضت أول مافرضت ركعتين ركعتين ، ثم أقرت فى السفر على هذا العدد ، وزيدت فى الحضر إلى أربع . أعنى الظهر والعصر والعشاء

---

(١) سورة الفرقان ٣٢

(٢) فى ظلال القرآن / ج ٥ ص ٢٥٦٢

(٣) صحيح الإمام البخارى / ج ٦ حديث ٢٢٨ .

والصيام فرض أولا على التخيير ، من شاء صام ومن شاء أفطر وفدى ، أى : أطعم مسكيناً عن كل يوم يفطره ، كما روى ذلك البخارى عن سلمة ابن الأكوع ، تفسيراً لقوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .(١)

ثم أصبح الصيام فرضا لازما لكل صحيح مقيم لا عذر له قال تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .(٢)

والزكاة فرضت أولا بمكة مطلقة غير محددة ولا مقيدة بنصاب ومقادير وحول، بل تركت لضمائر المؤمنين ، وحاجات الجماعة والأفراد حتى فرضت الزكاة ذات النصاب والمقادير فى المدينة .

المحرمات كذلك لم يأت تحريمها دفعة واحدة ، فقد علم الله تعالى مدى سلطانها على الأنفس ، وتغلغلها فى الحياة الفردية والإجتماعية .

فليس من الحكمة فطام الناس عنها بأمر مباشر يصدر لهم ، إنما الحكمة إعدادهم نفسيا وذهنيا لتقبلها ، وأخذهم بقانون التدرج فى تحريمها حتى إذا جاء الأمر الحاسم كانوا مراعا إلى تنفيذه قائلين : سمعنا وأطعنا .(٣)

وهذه السنة الإلهية فى رعاية التدرج ، ينبغى أن تتبع فى سياسة الناس إذا أردنا أن نقيم مجتمعا إسلاميا فعلينا أن نسلكها حتى نوافق

---

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٢) سورة البقرة ١٨٥

(٣) المدخل لمعرفة الإسلام / د . يوسف القرضاوى ص ١٢٨ ١٢٩ ط مكتبه وهبة .

المنهاج الذى سلكه النبى ﷺ لتغيير الحياة الجاهلية إلى حياة إسلامية ، فقد ظل ثلاثة عشر عاما فى مكة ، كانت مهمته فيها تنحصر فى تربية الجيل المؤمن الذى يستطيع فيما بعد أن يحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد لحمايتها ونشرها فى الآفاق .

ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع وتقنين ، بل مرحلة تربية وتكوين (١) فقد بدأ الخطاب الدعوى أولا بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة الصحيحة ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً .

وقد ذكر الإمام الشاطبى فى الموافقات موقفاً لعمر بن عبد العزيز يدل على أخذه بسنة التدرج فقد ذكر أن ابنه [عبد الملك قال : مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق قال له عمر : لا تعجل يابنى ، فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين ، وحرمها فى الثالثة ، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ، ويكون من ذلك فتنة] (٢) .

وهكذا نرى أنه قد كمل الدين وتمت النعمة بمنهج التدرج ، الذى نزل به ، ولو نزل دفعة واحدة لشق الأمر على الخلق وصعب عليهم امتثال أحكامه ، وفى هذا درس بليغ للدعاة ليندرجوا فى مناهجهم ، ويكونوا عونا للناس على تطبيقها وامتثالها ، وقد تنبه السلف الصالح لهذه الحقيقة حين ساروا على منهج التدرج فى مختلف الأمور حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه (٣) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٠

(٢) الموافقات فى أصول الشريعة / الإمام الشاطبى ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ ط دار الفكر العربى .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانونى ص ٢٣٦

سادسا : احترامه للعقل :

للخطاب الإسلامى الأثر البارز فى إنصاف العقل وتحريره من قيود الأوهام والخرافات والتقاليد الأعمى ، والإستسلام بغير اقتناع .

فقيمة الإنسان ترتفع فى الخطاب الإسلامى كلما ارتفعت اهتماماته العقلية ، ونظراته الفكرية ، وهذا مانقرأه فى منهج الإسلام متمثلا فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . إذ لم يدع القرآن وسيلة تصل الناس إلى انعاش العقل ، وتحرير الفكر إلا تذرع بها ، فهو يجادل أهل الملل والنحل جدالا عماده العقل ، ويعيب المكابرين بنقص عقولهم أو بعدم استعمالها استعمالا صحيحا قال تعالى « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »[1] .

وهكذا كانت وظيفة الإسلام فى البشرية رسم أقوب الطرق إلى الهداية ، وهو طريق العقل والمنطق . . . إن مبدأ احترام العقل وحرية التفكير الذى كفله الإسلام وحض عليه القرآن جعل المسلمين كما ثبت عنهم لم يحجروا على العقول ولم يحبسوا أفكار المفكرين كما فعل غيرهم حين أقاموا نظام التفتيش ، أوحين حفروا الأخدود ليحرقوا فيها أعداء دينهم[2] .

إن الخطاب الإسلامى يوجه الإنسان نحو الفكر الحر ، ولذلك

(١) سورة الأعراف ١٧٩

(٢) مثالية الدعوة والدعاة / عبد الحفيظ فرغلى على ص ٨٦ ، ٨٨ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مطابع الأهرام التجارية .

حاوب الوثنية لأنها انحطاط بالعقل ، وطمس للبصيرة . . وحين طلب أعداء الإسلام من رسول الله ﷺ معجزات مادية تثبت صحة رسالته كان رد الله عليهم فى الخطاب القرآنى أن ينظروا فيما احتوته آيات الله التنزيلية من دلائل عقلية وصور كونية ، تثبت صحة ما تضمنته هذه الرسالة وصدق حاملها . قال تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون »[1] .

فقد جاءت الخوارق آيات متلوه من القرآن المعجز الذى تتفتح كنوزه لسائر الأجيال فى كل زمان ومكان ، والذى يخاطب العقل ويحرك الوجدان .

وقد كتب الله تعالى فى سننه أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة ، كما كتب فى لوح هذا الوجود أن يقوم رسول الإسلام داعياً إلى الحق بمنطق العقل هو ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين »[2] .

ومن تم فإن الخطاب الإسلامى يحترم العقل الإنسانى ، ويقدر الفكر البشرى ، ويضع الأساليب المنطقية ، والحجج العقلية على رأس وسائل التفاهم والنقاش والجدل المحمود .

(١) سورة العنكبوت : ٥٠ . ٥١ .

(٢) سورة يوسف : ١٠٨ .

وإذا كان زمن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد مضى وانتهى .

فإن البشرية لاتستطيع اليوم أن ترى معجزاتهم ، ولا يمكن لها عند ذلك إلا أن ترى أو تلمس المعجزة الباقية الخالدة التى تخاطب العقل وتحرك الوجدان ألا وهى معجزة القرآن الكريم التى تمثل وسيلة الإقناع الهادىء المنطق ، دون صراخ أو صياح أو انفعال قد يضر بالدعوة أكثر مما يفيدها ، ويصورنا كأننا قوم من الغوغائيين ، الذين يفتقدون القدرة على الحوار بالحجة والإقناع بالدليل[1] ، مسلمين وغير مسلمين .

وهكذا يستبين للناظر فى جوهر الدعوة الإسلامية أنها قائمة على مخاطبة العقل وتكليف من عقل ، وإسقاط التكليف عمن لايعقل ، وهى دعوة يقوم الخطاب بها على الإقناع ، ويستند إلى البراهين فى مخاطبته للناس جميعا مسلمين أو غير مسلمين ، كما أنها تجعل النظر فيما خلق الله من أهم مداخل الإيمان بالله ، والتصديق بما جاء به محمد ﷺ .

وقد ذكر القرآن الكريم العقل باسمه ومشتقاته نحو خمسين مرة ، وذكر أولى الألباب بضع عشرة مرة ، كما ذكر أولى النهى أكثر من مرة ، وقد أمر الله تعالى بالمحافظة على العقل لعظم شأنه وضرورة الحاجة إليه ، لأن فقده يعنى فقد شخصية الإنسان ، ولأن الإخلال به يؤدى

---

(١) أشكاليات العمل الإعلامى بين الثوابت والمعطيات العصرية / د . محى الدين عبد الحليم ص ١٧٢ ، ١٧٣ كتاب الأمة .

إلى التخبط والضلال . فحرم كل ما يؤثر عليه من المسكر والمفتر ، ووضع عقوبة قاسية لمن ينتهك حرمته[1] .

وبلغ تقدير الخطاب الإسلامى للعقل أن جعل معجزة الإسلام — وهى القرآن الكريم — معجزة إلهية ترتبط به فى كل زمان ومكان ، وجعل العقل هو المنسق بين الوحى الإلهى والواقع الإنسانى ، فهو لابد منه لقيام ذلك الوحى على ما أراده الله تعالى حقيقة ، وما قصده من غايات وحكم ومصالح فى الدارين ذلك أن العقل والشرع يتكاملان فى إقامة دين الله فى الكون وتحصيل مقاصده فى الداريين ، بإصلاح المخلوق فى نظمه وأحواله وسياساته ومعاملاته فى الدنيا وبإسعاده وإسكانه بجوار رب العالمين فى الجنات العليا .

فالشرع مانزل إلا ليخاطب عقل المكلف ، والعقل ما بلغ رشده وصوابه إلا بتوجيه الوحى وتصويبه ، وتحديد دوره وصلاحياته .

العقل شرط التكليف وأساس التدين ، وطريق البناء الحضارى وإيجاد الواقع لنسق متزن ومنضبط وهادف ، وتنسيق لسنن الله واستثمارها فى خدمة مصالح الإنسان المدعو وحاجياته ومتطلباته .

والعقل هو الذى يتعامل مع نصوص الوحى وأدلته ويفهم معانيها ومدلولاتها ، ويستنبط مراميها وأسرارها ومقاصدها .

وهو كذلك يباشر الوقائع والحوادث ويفهم حقيقتها وطبيعتها ويستنبط ملابساتها وحيثياتها وظروفها ، ثم بعد ذلك يعمل على موازنة

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

الوحي باوقائع ، ويجتهد في مقابلة الواقعة الإنسانية بدليلها ونصها من الوحي الكريم[١] .

ونخلص من هذا إلى أن أبرز مايميز الخطاب الإسلامي هو ارتباطه بالعقل واحترامه له وتقديره للفكر البشري .

سابعا : ترحيبه بالحوار مع أصحاب الأديان الأخرى :

الدين الإسلامي هو الدين المكمل للأديان السالفة والمهيمن عليها كما جاء في حديث النبي ﷺ « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زواية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا . وضعت هذه اللبنة ؛ ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[٢] .

ولذلك كان من أركان الإيمان ، الإيمان بالأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام وحتى سيدنا محمد ﷺ . قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله »[٣] .

---

(١) الاجتهاد المقاصدي حجيته — ضوابطه — مجالاته / د . نور الدين بن مختار الخادمي ج ٢ ص ٧٩ كتاب الأمة .

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ٣ ص ٩٤ دار الريان محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٥ .

وهذا الإيمان ليس لمجرد التسامح ولكن لأن الدين الإسلامي ماجاء إلا امتداداً لكل الأديان السالفة .

ولهذا يؤصل الخطاب الإسلامي منهج الدعوة إلى الحوار ويجعل ذلك فريضة واجبة وضرورية شرعية ...

فنحن أصحاب دعوة ورسالة عالمية ، لا تخص جنساً ولا لونا ولا عرقاً ولا بلداً معينا ، فالخطاب القرآني يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً مؤكداً على التعايش والإخاء الإنساني مستهد فأخير وتقدم ونماء الإنسانية كلها .

ويصبح واجبنا حمل أمانة الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته ...وتعريف العالم والإنسانية كلها بالإسلام ومبادئه وقيمه ومثله ، ومقاصده السامية وتصحيح الكثير من التصورات ، والإنطباعات ، والمفاهيم السلبيه الخاطئة التي راجت لدى العديد من الأوساط الدولية عن الإسلام والمسلمين ، وان يتحقق لنا ذلك إلا بالحوار والتواصل مع الأخرين .

هذا فضلا عن أن الدعوة إلى الحوار ، والالتقاء بالآخرين ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، هي دعوة قرآنية وتكليف شرعي قائم[١] .

قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »[٢] .

---

(١) حولية أصول الدين العدد ١٦ سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨م تحت عنوان الحوار بين الإسلام والغرب أ . د سامي عفيفي ص ١٩١ ، ١٩٢

(٢) سورة آل عمران ٦٤

وفى ضوء ذلك فإن الخطاب الإسلامى يرحب بمثل هذا الحوار ليفتح المجال لتصحيح المعلومات، وتقديم الحقائق لهـؤلاء الذين أساءوا فهم الإسلام وناصبوه العداء.

وقد وضع الإسلام أساساً للعلاقة بين كل أفراد الجنس البشرى يقوم على المودة والإحترام، ومساعدة الضعيف وإنقاذ الملهوف، والرفق بالإنسان أياً كان دينه ومذهبه أو أصله، وكذلك الرفق بالحيوان والكائنات كلها، والقرآن الكريم يحوى العديد فى الآيات والمواقف التى تحث على تحقيق العدالة وعمل الخير، وتقديم المعروف لكل الناس، حتى فى حالات الغضب والكراهية قال تعالى: «ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»(١).

والإسلام بهذا يحافظ على حقوق البشر جميعاً، ويؤكد أن الأصل الإنسانى واحد، ويسمح بلغة مشتركة مع كل الناس، وهنا يجد غير المسلمين فى الإسلام ما يحقق أغراضهم، ويلبى احتياجاتهم فى حياة حرة كريمة تسودها المحبة والسلام والمساواة(٢).

ويؤكد المستشرق الإنجليزى المعروف «توماس أرنولد» أن الملاحدة ظلوا ينعمون فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح ليس لها مثيل فى أوربا، وأن العقيدة الإسلامية تلتزم بهذا المنهج مع جميع أتباع الديانات الأخرى(٣).

---

(١) سورة المائدة ٨

(٢) اشكاليات العمل الإعلامى ص ١٧٨ — ١٧٩

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٧٩

هذا هو منهج الخطاب الإسلامى الذى وضعه الله تعالى ليلتزم به المسلمون مع غير المسلمين قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن»(١) «أى: لا تجادلوا أيها المؤمنون. غيركم من أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، إلا بالطريقة التى هى أحسن، بأن ترشدوهم إلى طريق الحق بأسلوب لين كريم»(٢).

وقال تعالى: «وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين»(٣).

أى: «بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعى ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة فى الجدل، ولكن الاقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها.

وهى لا تنزل عن الرأى الذى تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هى عند الناس... والجدل بالحسنى هو الذى يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر المجادل أن ذاته وصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة فى ذاتها، والاهتداء إليها. فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأية وهزيمة الرأى الأخر»(٤).

وبالتالى فإن أهل الديانات والعقائد الأخرى يجدون فى القرآن الكريم احتراما لرسلهم، وفى هذا يقول كارل بروكلمان.

---

(١) سورة العنكبوت ٤٦

(٢) التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوى جـ١١ ص ٥٠ مطبعة السعادة

(٣) سورة النحل ١٢٥

(٤) فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٢٠٢

« إنه حين أرسل الله عيسى قبل محمد ، فقد أرسل موسى قبل عيسى ، وحين تنبأ عيسى بمحمد فقد تنبأ موسى بعيسى ، ورسالة محمد أرسلها الله إلى العالم أجمع وليس إلى قوم بعينهم ، ليصحح مسيرة الرسالات التى سبقته ويبلغ الناس بالرسالة الصحيحة التى حملها إبراهيم من قبل ، والتى شوهتها الأحداث والأشخاص ..

وتأسيساً على ذلك ، فقد جعل الله أمانة الدعوة إلى هذا النبى الخاتم ليبلغها إلى البشرية جمعاء ، وقد استشعر الرسول ﷺ هذه المسئولية وحمل هذا النداء وبلغة لكل الناس »[1] .

فالخطاب الإسلامى خطاب يعامل الناس جميعاً على قدم المساواة لا فرق بين شريف ووضيع ولا بين محبوب ومكروه ولا بين قريب وبعيد فالعدالة الإسلامية فى هذا الخطاب لها ميزان واحد ، يستطيع غير المسلم أن يحقق فيها غرضه ، ويلبى احتياجاته ، ويحقق طموحه فى حياة حرة كريمة تسودها المحبة والمساواة .

وبعد : ففى ضوء هذه الحقائق السالفة الذكر ، تتضح الأهداف التى يقوم عليها الخطاب الإسلامى الدعوى ، والتى يمكن تلخيصها فى النقاط التاليه [٢] .

١ — أن التعريف الصحيح بالإسلام عقيدة وشريعة ، يحقق الخير للجميع إذا إلتزموا بمعطياته ، وتمسكوا بمبادئه .

---

(١) اشكاليات العمل الإعلامى ص ١٨٠

(٢) الإعلام الإسلامى فى القرن الحادى والعشرين — على عجوة ص ٤٥١ مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامى

٢ — توضيح القيم الإسلامية البناءة ، التى يؤكد عليها الإسلام لتنمية المجتمع والإرتقاء بأفرادة فى كل مكان وكل زمان .

٣ — تأكيد المبادىء النبيلة التى يحث عليها الإسلام ، لتحقيق العدل والتكامل والتضامن والخير للجميع .

٤ — التعريف بأحوال المسلمين وتذكيرهم بمشاكل اخوانهم ، والتحديات التى تواجههم ، واقتراح الوسائل المناسبة لمساعدتهم .

٥ — إبراز الجوانب الإيجابية فى الدول الإسلامية ، وعدم الخضوع لسيطرة الإعلام الغربى ، لتصحيح الاختلال الكمى والكيفى الذى يمارسه هذا الاعلام فى تناوله لقضايا الأمة .

٦ — التعريف بالشخصات الإسلامية ، التى أسهمت فى صنع التقدم والتطور فى مختلف المجالات .

٧ — تفنيد الدعايات الكاذبه ، والأفتراءات المعرضة ، التى يشنها أعداء الإسلام وخصومه ، والتى تتم من خلال الأعمال الأدبية والفنية التى تصور المسلمين بشكل لا يتفق مع واقعهم ، خدمة للمخططات الصهيونية والإلحادية .

٨ — تصحيح الصورة الذهنية الخاطئة ، التى تكونت عند بعض الشعوب والجماعات عن الإسلام والمسلمين ، عن طريق تقديم الواقع الحقيقى للسلوك الإسلامى الصحيح . وشرح أبعاد الفكر الإسلامى بصورة موضوعية .

٩ — توعية المسلمين فى بلاد العالم المختلفة بدورهم فى تصحيح صورة الإسلام فى غير ديار الإسلام ، والتصدى للدعايات المغرضة ، وتصحيح المفاهيم الباطلة التى يحاول أعداء الإسلام الترويج لها .

ضوابط الخطاب الدعوى :

من خلال استعراضنا لمميزات الخطاب الدعوى فى المنهج الإسلامى فإنه يمكن أن نستخلص القواعد والضوابط التى تحكم هذا الخطاب ، وذلك فى مجموعة من النقاط التالية[1] .

أولا :

المصدر الأساسى لصياغة مناهج الإسلام للخطاب الدعوى هو القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ، ومنها مرجعية هذا الخطاب وضوابطه ، وهى مرجعية غير قابلة للتعديل ولا التبديل ، ولا يعتريها تغيير بفعل الزمان والمكان .

ثانيا :

تختلف الفلسفة الإسلامية فى المنهج عن الفلسفات الأخرى ، التى تنتهى بإنتهاء النظام الذى أوجدها ، والقوى التى تدافع عنها وتحميها ، كما هو الحال فى الفلسفة الشيوعية وغيرها . .

وبذلك يصبح فى مقدورنا أن نقرر أن الفلسفة الإسلامية الإسلامية فلسفة راسخة لا تتعدل أو تتبدل بحسب الظروف والمتغيرات التى تفرض نفسها على الواقع المحلى أو الدولى .. لأنها تتميز بالثبات والمرونة فى نفس الوقت ، فهى ثابتة ثبات العقيدة الإسلامية ، ومتحركة مع حركة الحياة ، تحترم الإنسانية وتلبى فطرتها ، وتنمى عقلها ، وترتقى بوجدانها ، وتطلق ملكاته إلا بداعبة فى ميادين الحياة .

---

(١) راجع كتاب إشكاليات العمل الإعلامى ص ١٨٩ .

ثالثا :

إن المنهج الإسلامى فى الخطاب الدعوى ، وإن كانت أصوله تستند على قواعد معينة فى العقيدة لا يجوز التغيير والتبديل فيها ، مهما تغير الزمان والمكان ، إلا أنه صورة متحركة غير جامدة ، يقبل التجديد والتطوير بما يتلاءم مع مقتضيات العصر وحاجاته ، وحسبما تمليه الحوادث وترسمه الأيام ، ذلك أن المنهج الإسلامى حارب الجمود على المألوف ونهى عن التقليد الذى يعمى أصحابه عن رؤية الحقيقة .

قال تعالى : « قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين »[1] .

فالمنهج الإسلامى لا يتوقف عند بيئة معينة أو زمان معين ، ولكنه يتسع ليخاطب الناس فى كل زمان ومكان .

رابعا :

الخطاب الدعوى فى التطور الإسلامى ليس خطابا ثيوقراطياً دينياً مقدساً ، ولكنه خطاب إنسانى يقع فيه الخطأ والصواب ، ويسمح فيه بالاجتهاد فى الرأى ، وعرض وجهات النظر المختلفة .

خامسا :

يعتبر الخطاب الدعوى فى الدعوة إلى الإسلام ركيزة أساسية من ركائز المنهج الإسلامى ، إنطلاقا مما ورد فى القرآن الكريم الذى يؤكد

---

(١) سورة الزخرف : ٢٤ ، ٢٥ .

على فريضة الدعوة ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والبلاغ والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، شريطة عدم التبليغ إلا فى حدود الفهم الصحيح لهذا الدين .

سادسا :

إذا كان المنهج الإسلامى قد كفل للجماهير حرية التعبير وحق الاتصال ، وفرض عليهم هـذا الواجب ، فإنه ألزم السلطة الحاكمة بالاستماع لكل صاحب رأى ، كما فرض على كل مسلم ومسلمة الإسهام بفكره وعلمه ، وحرر من استخدام وسائل القمع أو القهر لتحكيم الأفواه ، وحرمان الفرد من استخدام حقه فى القول بمختلف الوسائل والطرق المباحة .

ونظراً لأن وسائل الخطاب الدعوى هى أقوى قنوات الاتصال وأوسعها انتشاراً وتأثيراً ، فإن هذه الوسائل تحمل على عاتقها مسؤولية مضاعفة ، متمثلة فى فرضية النصح للحاكم والمحكوم ، وفرضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

سابعا :

التعبير عن الخطاب الدعوى ، يجب أن يكون أسلوبه عذبا ، وعباراته سلسلة ، وكلماته رقيقة ، مدعومة بالحجة الناصعة ، والبرهان القوى ، والدليل الواضح ، لأن الدعوة الإسلامية فى الخطاب تستبعد العنف والغلظة والإكراه وتؤكد على الكلمة الطيبة والمعالجة الموضوعية ، وتشجع على الحوار الهادىء ، والجدل المنطق ، والعرض المقنع الجذاب .

ثامنا :

الدعوة الإسلامية فى خطابها ترفض الإستبداد الذى تتبناه الأنظمة الاستبدادية . كما ترفض الحرية المنفلتة التى تتبناها الأنظمة الليبرالية الغربية . . وأتفاقها أو اختلافها مع هـذه الأنظمة فى بعض النقاط ، لا يعنى تبعيتها لأى نظام من هذه الأنظمة .

تاسعا :

إن المنهج الإسلامى يصوغ الضوابط والأخلاقيات التى تحكم نشاط الخطاب الدعوى ، ويأتى فى مقدمتها : الإلتزام بالصدق مع النفس ومع الآخرين ، فلا يجيز الإجتهاد بغير معرفة ، ولا الفتوى بغير علم ، ويحرم الغيبة والنميمة ، كما يؤكد على تحريم قذف المحصنات ، واتهام الناس بالباطل ، كما يستبعد النفاق ، والمجاملة الممقوتة للأفراد أو السلطات ، ويرفض المبالغة فى القول ، أو التجاوز للحقيقة أو إخفاءها أو التغاضى عنها .

عاشراً :

الخطاب الدعوى فى المنظور الإسلامى ، يستهدف — أولا وقبل كل شىء — بناء الإنسان ، لأن بناءه هو الهدف والغاية .

قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »[1] . فالعبادات من صلاة وزكاة وصيام كلها لتحقيق هذه الغاية التى من أجلها خلق الله

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

الخلق . . . وأى خطر يمس الإنسان — ويؤثر على عقله أو وجدانه أو يبعده ، عن الطريق المستقيم الذى رسمه الله فى كتاب وأكده النبى ﷺ فى سننه ، مرفوض شكلا وموضوعا ومحكوم عليه بالبوار والانهيار .

حادى عشر :

يحفل الخطاب فى حقل الدعوة ، بالعلم والعلماء ، ومن ثم فهو يشجع على العلم ويكرم العلماء ، ويحثهم على إعداد الخطط العلمية التى تتوافق مع ظروف الناس المتقلبة ، وتتناسب مع واقعهم الثقافى والاجتماعى ، وتلبى احتياجاتهم ، وتناقش مشكلاتهم ، فى زمن أصبح الخطاب هو المصباح الذى يسترشد به الحكام فى وضع السياسات ، ومواجهة الأزمات . . وإذا تم هذا بدون دراسة علمية دقيقة وتخطيط مدروس لاتجاهات المخاطبين ، فإن هذه الخطط والقرارات سوف تكون مجرد مكاء وتصدية ، كما أن هذه البحوث والدراسات ستسهم فى ظهور قيادات خطابية ذى خبرة وصلة وثيقة بالمخاطبين .

ثانى عشر :

يؤكد المنهج الإسلامى فى الخطاب الدعوى على أهمية الحفاظ على اللغة العربية ، وتقويم اللسان العربى ، وإزالة العجمة المنتشرة فى كلام الناس ، وذلك من خلال اختيار اللفظ والعبارة ، وانتقاء الجمل والعبارات الدقيقة ، والإهتمام بالجانب التطبيقى العملى ، وترسيخ القدرة على النطق الصحيح ، والحديث السليم ، لدى الصغار والكبار .

رسالة الخطاب الدعوى المعاصر :

إن الخطاب الدعوى الأصيل يرتبط فيه منهج العمل والكفاح بفلسفة محددة ، مدروسة ومكتوبة . . . فلسفة تجعل الداعى يناجز غيره الرأى بالرأى ، والفكر بالفكر ، والفلسفة المادية للتاريخ برسالة الإسلام الحية الخالدة ، فالدعوة الصحيحة لا تعرف طريقها إلى القلوب والعقول إلا بالأسلوب القادر على حمل رسالتها إلى الأعماق .

ولعل الكثير من العلماء يقررون ولا ينكرون أن الخطاب الدعوى المعاصر عاجز عن الوصول إلى ماحققه الخطاب الدعوى الأصيل من غايات وأهداف ، بسبب ما يحوط الخطاب الدعوى المعاصر من قصور وفتور .

لقد كانت الأمة الإسلامية رائدة عصرها يوم كان القرآن الكريم يشكل صحافتها وإذاعتها ومحور حركتها . . . به تخاطب ، وعلى أساس من هدية تسالم وتحارب . . . وتقطع وتصل . . .

وكانت بيوت المسلمين خليات نحل تدوى بآياته وعظاته ، فاستنارت بهدية القلوب ، وعمرت بآياته البيوت ، وسادت بأحكامه الأمة .

أما الآن . . . فقد ظهر صوت « التلفاز » فى البيت على حساب صوت القرآن ووقته فى كثير من الأحيان ، وندر وجود المصحف على المكتب فى المنزل على حين ثقل بمجلات الخلاعة ، ومجلة « المودة » والتحلل ، فنضبت معانى الإيمان والوجولة فى النفوس ، وأضحى بعض المسلمين المعاصرين ضائعين . . . تائهين وبعيدين عن سلفهم العظيم فى صدر الإسلام ، الأمر الذى جعل المجتمع الإسلامى خليطا من المضحكات

والمبكيات يندى له الجبين[1] .

إننى أرتو ببصرى إلى ما يقوم به الخطاب المعاصر عموما — مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً — ثم أتساءل : أين يقف الخطاب الإسلامى وسط هذا الركام الذى لا حد له . . . وما الذى قام به نحو قهر الإلحاد ، ورد الشكوك وتثبيت الإيمان ؟

وإن كنا لا ننسى المجلات والصحف الإسلامية الأسبوعية والشهرية التى تصدر تباعاً من جهات مختلفة ، والاذاعات التى تهتم بالبرامج الدينية والتلفاز الذى يظهر فيه على استحياء — بعض برامج الدين — ومع ذلك نقول : إن مثل هذه الصحافة والإذاعات مع ما نقوم به من جهد مشكور تهتم فيه بمعالجة جوانب العبادة والأحكام الشرعية فقط لا تكفى لإظهار دور الخطاب الدعوى الاسلامى .

إن المجتمع الاسلامى اليوم فى حاجة إلى خطاب دعوى شامل يبرز على العقل الإنسانى فى كل صباح ، وبكل لغة ، كما تبرز ضوء الفجر فيبدد ماترا كم من ظلام .

خطاب إسلامى ينسق جهوده ، ويتعاون فى إبراز رسالته الإسلامية فى زمن اختفت فيه الحواجز الفاصلة وتقاربت المسافات المتباعدة وصار عالم اليوم كالقرية الواحدة .

خطاب يتصدر الساحة الثقافية ويستطع على العقل الإنسانى من جميع المجالات بحيث يجد أمامه — مثلا — مجموعة من الصحف والمجلات

---

(١) مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى / نخبة من العلماء ص ٨٨—٨٩

الشرعية التى تتخصص فى إبراز محاسن الإسلام ونظمه .

وثانية : كونية : ترسم آيات الله فى الأفاق كما يرسم الشاعر المفتون بالطبيعة الحدائق الناضرة ، والأقمار الساطعة .

وثالثة : نسائية : تشرح العطاء القرآنى للمرأة ، والتكريم الإسلامى لها ، وتفتح النوايا الخبيثة التى تخاصم نظام الأسرة العتيد ، وما شرعه الدين للبيت من تعاليم تتصل بالقوامة والأمومة والتربية والتوجيه الخاص والعام .

ورابعة تاريخية : تتحدث عن أمجاد المسلمين ، ومسيرة سلفهم الصالح وتحسن الانتفاع بثمرات السابقين الذين عاشوا مع الزمن يدافعون عن الإسلام ويحرسون أركانه .

وخامسة أدبية : تحرص لغة القرآن وتزكى العاطفة الإنسانية نحو دينها وكتابها ، وتربطها بربها وعباداته .

— ثم ، وهذه يومية تتابع أخبار المسلمين فى شتى أقطار العالم ، وتتابع شؤونهم بالتحقيق والاستطلاع — بسرعة ، وحين حدوث الحدث . . . فإذا وقع ضيم هنا ، أو حيف هناك نبهت إلى الخطر ، وحمت من السوء . . .[1] .

إن الخطاب عموماً مسموعاً أو مقروءاً تقدم تقدماً ملموساً فى العصر الحديث حتى أصبح التسابق والتنافس بين أجهزة الأعلام المختلفة لنشر المذاهب والعقائد والديانات عبر القنوات الفضائية

---

(١) مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى ص ٨٩—٩٠

والانترنت ... فلماذا لا يلاحق الخطاب الإسلامى هذا الخطو الواسع، ويسقط الزيف الموجود، بحقائقه وبياناته واحصاءاته .

نحن نريد خطاباً إسلاميا يتحدث بكل لسان ، ويغزو كل مكان ، معه التحقيق والصورة والاستطلاع ليفتح الشرق والغرب فى عقر داره ويكشف يده الملطخة بالدماء ... وبديهى أن تحقيق ما نتقينا ونرجوه، يستدعى من العاملين فى حقل الخطاب الدعوى الإسلامى ما يلى[1] :

١ — علماء يشرحون به حقائق الإسلام ، ويفندون ما يروج ضده من أباطيل .

٢ — إستقلالا : يمنع للدعاة من الوقوع تحت تأثير الأجهزة الشرعية ولا يربطهم بعجلات السلطة التنفيذية فى بلادهم .

فيتصرفون فى شؤون الدعوة بعيداً عن شهوات الحكم وأهوائه .

٣ — إخلاصاً يبعد الدعاة عن التجارة والجرى وراء المجد الشخصى والكسب المادى ، وينأى بهم عن المراء والجدال وتمزيق وحدة المسلمين ، والمطلوب الآن أن ينتفض الخطاب الإسلامى انتفاضة الحياة ، ويشرع فى خدمة الإسلام والمسلمين الخدمة الملائمة لهذا العصر ...

---

(١) المرجع السابق ص ٩١ — ٩٢ بتصرف .

مثالب الخطاب المعاصر :

بعد ما رأيناه قدرة الخطاب الإسلامى الدعوى على التأثير فى المخاطبين بما اشتمل عليه من قدرة قادرة على تعبئة الجماهير ، ودفعها إلى البذل والتضحية ، وبما احتوى على فكر راق يخاطب الإنسان كله بقلبه وعقله وحواسه ووجدانه .

فقد ظل هذا التأثير للخطاب الدعوى فعالا ، حتى اختلطت المفاهيم واعترى الفكر الإسلامى شىء من التغيير ، وبدأ العد التنازلى للحضارة الإسلامية ، وتبعاً لذلك تغير الخطاب الدعوى ، فأصبح موصوفاً بصفات التخلف الذى يعيشه المجتمع الإسلامى المعاصر ... ذلك الذى أضحت العقول فيه خاوية ، واللغات عاجزة ، وعاد المجتمع إلى الطفولة من جديد .

والطفل عندما يفتقد الأفكار يلجأ إلى طريقته البدائية للتعبير بالإشارة والنغمة الصوتية ، وتظهر فى هذا المجتمع الذى عاد إلى الطفولة ظواهر غريبة لتعويض قصوره فى الأفكار ، ويكون هذا المجتمع مرغما على الاستعاضة ببدائل ولا سيما فى أوجه نشاطه الفكرى[1] .

وإن العامل فى حقل الدعوة يلمس عمق القصور فى الخطاب الدعوى الذى فقد القدرة على التأثير فى تلك الجموع الغفيرة من المخاطبين ، لأن بعض العاملين فى الحقل الدعوى لم يدر بخلدهم أن الخطاب الإسلامى المسموع منه أو المقروء فن من الفنون الراقية التى يتألف بها الداعى

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى نقلا عن مالك بن نبى — مشكلة الأفكار ص ٨٢

ويرتفع فوق الربى العالية ليحقق آمال أمته وأحلامها ، بل ظنوا أن الناس ما عادوا كالأزمنة السالفة يفهمون تراكيب الألفاظ وقوانين اللغة ، وأخذوا الأسفاف مآخذ الجد ، وباتوا يهترئون ويعبثون ، وراحوا يأتون فى خطابهم بكلمات مهترئة متهالكة لا تصدر إلا عن مصروع أو محموم ، والبعض الآخر آخذ يتشنج بكلمات ثقيلة جوفاء مزركشة منمقة وجافة يابسة ، خلت من الروح وجفت من النبع فصارت لا تسمن ولا تغنى من جوع .

ونسوا أو تناسوا أنهم على ثغر من ثغور الإسلام العظيم .

هذا ويمكن حصر أهم مثالب الخطاب الدعوى فى العصر الحاضر فيما يأتى :

١ — عدم الدقة والوضوح والفهم السليم لسنن الله الكونية :

من مثالب الخطاب الدعوى المعاصر عدم الدقة والوضوح والفهم السليم لسنن الله الكونية ، وإهمال الجانب العلمى السنى فى ديننا حتى وصفنا بالفكر الخرافى الذى لا يؤمن بالقوانين والمنهجية العلمية فى رؤية الأحداث وتحليلها ، أى العجز عن رؤية الارتباط فى الأحداث بين الأسباب والنتائج .

وبذلك سيطر الخطاب العاطفى على تصريحات العاملين للاسلام عبر العقود الأخيرة ، ولا يزال مسيطراً حتى الآن سواء على ما يقال أو ما يكتب[1] .

(١) الوعى الإسلامى عدد ٣٢١ ص ٨٣

ولعل أخطر مشكلة يعانى منها المجتمع الإسلامى اليوم أنه لا يزال يعيش مرحلة الخطب التى تشحنه بالعواطف والاندفاعات دون القدرة على الأخذ بيده إلى الطريق الصحيح ، ووضع الأوعية الشرعية لضبط حركته[1] .

مما جعل مقولات الخطاب الدعوى مقولات فارغة جوفاء تعبر عن آمال ومخاوف تعكس أحوالا نفسية وليس حقائق موضوعية وبعبارة أخرى كان الخطاب الإسلامى ولا يزال فى جملته خطاب وجدان وليس خطاب عقل ، لقد كان ولا يزال يعبر عما يجده الكاتب أو الخطيب الإسلامى فى نفسه من انفعالات إزاء الأحداث وليس عن منطق الأحداث[2] .

الشىء الذى يؤكد عزلة العاملين فى الحقل الإسلامى عما يدور حولهم من أفكار وثقافات تظهر بين الحين والحين على ساحة الأعداء ، وعدم قدرتهم على الاستفادة من الخطابات المضادة ، لأن الوجدان — بمفرده — لا يساعد على التخطيط الصحيح الذى يعتمد على العقل لمواصلة العمل ، غاية ما يستطيعه الوجدان هو الدفع إلى مزيد من الرغبة أو مزيد من الخوف ، وصراع الرغبة والخوف لا يمكن أن ينتهى إلا إلى شىء واحد هو الهروب إما إلى الوراء وإما إلى الأمام ، إما إلى أقصى التشدد وإما إلى أقصى التسامح[3] .

(١) مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامى د / عباس محجوب كتاب الأمة ص ١٣

(٢) الخطاب العربى المعاصر — د / محمد عابد الجابرى ص ٣٢

(٣) مجلة الوعى الاسلامى عدد ٣٢١ ص ٨٤

إن العاملين فى حقل الدعوة فى حاجة ماسة إلى فهم خطط الأعداء الذين يتربصون بهم ويكيدون لهم . لأن قلة وعى كثير من العاملين فى مجال الخطاب الإسلامى وغفلتهم عن واقع الدعوة ، والظروف المحيطة بها من جهة ، وعدم بصيرتهم بطبيعة أعدائهم ، وأساليب مكرهم وخداعهم من جهة أخرى ، جعل الكثير منهم تحركهم العواطف ، وتخدعهم الشعارات ، ويقفون مواقف شتى ، تجرهم فى كثير من الحالات إلى التلاوم والندم .

إن التعرف على سنن الله فى الكون مرتبط إلى حد كبير بحسن إدراكها ، ذلك لأن التعرف عليها لا يمنع الإنسان القدرة على تسخير الكون فحسب ، وإنما يمنحه قدراً كبيراً من التحكم بالنتائج ، والتخفيف من الآثار السلبية ومغالبة قدر بقدر ، والفرار من قدر إلى قدر ، وفى ذلك انفساح هائل أمام طاقات الإنسان غير المتناهية ، وتحكم فى الكون الذى خلق الله الإنسان سيداً له ، وجعل محل تسخيره .

والسنن التى تحكم الكون والحياة قدر من قدر الله ... والتعرف عليها والانضباط بمقتضياتها هو حقيقة التكليف ، وحقيقة الإيمان ، والتوكل[1] .

ويمكننا القول بأن إنسان الخطاب الدعوى فى العصر الحديث والذى يعانى منه المجتمع الاسلامى اليوم كان بسبب عدم الدقة والوضوح والفهم السليم لسنن الله فى الكون ، والعدول عن الانضباط والإنسلاك بالسنن ، التى شرعها الله .

---

(١) أزمتنا الحضارية فى ضوء سنة الله فى الخلق — د / محمد كنعان ص ٢٠ كتاب الأمة .

ونخشى أن نقول : إن بعض أمراض وعلل الأمم السابقة التى حذرنا القرآن منها وحذرنا منها النبى عليه الصلاة والسلام ، والتى كانت سبب انحسارهم الدعوى تسربت إلى المسلمين ، فى عصور التخلف والانسلاخ عن الدين ، وهى ما يمكن أن نعبر عنه بالغزو الفكرى فى مجال الخطاب الدعوى والذى أدى بهم إلى عدم الاعتقاد بثبات السنن ، وإطرادها وعدم تبديلها وتحولها ، وتحريم النظر فى علة الأشياء وأسبابها ، والتوهم بأن الاعتقاد أن الأسباب توصل إلى النتائج يتعارض مع الايمان بقدرة الله الذى شرح الأسباب وقدر أن تكون موصلة للنتائج .

ويناقض التوكل ، ويتعارض مع قدر الله ، فكان العدول عن كشف السنن ، هو الذى أورثنا الاستنقاع الحضارى ، الذى نعانى منه ونظن أننا أكثر إيماناً ويقيناً ، كما فعل رجال الكنيسة ، فأوقفوا عجلة الحضارة والتقدم العلمى[1] .

ألا يحق لنا بعد هذا ، أن نستغرب عزوف مقولات الخطاب الدعوى عن الفهم السليم لسنن الله فى الكون وعدم التعرف عليها وملاحظة اطرادها ، لعرضها فى ثنايا الخطاب الدعوى مسموعاً أو مقروءاً ؟؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢١

٢ — عدم التوازن فى طرح القضايا :

إن الخطاب الدعوى منبر هام ، ووسيلة ممتازة لتذكير الناس بأمور دينهم وعبادتهم وعقيدتهم وشريعتهم وشريعتهم ، وحضارتهم ، ونافذة واسعة لعرض الدعوة الإسلامية بضاعتها كاملة، وتوعية المسلمين بالمرحلة التى يعيشونها ، وبالأخطار والتحديات التى تحيط بهم ، وحتى يستثمر العاملون فى الحقل الدعوى الخطاب الدعوى الاستثمار الأكمل عليهم أن يطرقوا القضايا بمنهج متوازن شامل يغطى المعانى والأفكار التى يجب على المسلم أن يهتم بها ، وعلى الداعى ألا ينسى استغلال المناسبات الواقعة والطارئة ويوظفها لصالح خطابه الدعوى ، ووضعه فى إطاره الإسلامى الصحيح .

لكن بعض العاملين فى الحقل الإسلامى لا ينهجون فى خطابهم — المقروء منه والمسموع — هذا المنهج المتوازن الشامل ، بل على العكس يقعون أسرى لبضعة مواضع قد تكون هامة وقدلا تكون ، يعرضونها على الناس كل حين ، مما يحدث الملل لدى المخاطبين الذين يعانون من تكرار مثل هذه المقالات أو الخطب التى لا جديد فيها ، وبذلك يهدرون قيمة هذه القنوات المفتوحة لعرض الخطاب الدعوى الذى يمكننا أن نقول من خلالها الكثير والكثير .

ومنهم من يخوض فى القضية الواحدة فى عدة مواضيع لا يربط بينها رباط منطقى ، ولو أنه وزع هذه المواضيع على عدة خطب أو مقالات أو لقاءات وأشبعها بحثاً ودراسة لكان أفضل .

ومنهم من يهمل فى موضوعاته أحداث الساعة التى تمس واقع الناس ووجودهم ومستقبلهم ، فلا يجد المخاطب المسلم فى خطابه متنفسا لمشاعره

العارمة وآلامه الفائدة ، يستمع أو يقرأ الخطاب دون أن يتفاعل معه وكيف يتفاعل مسلم مع خطاب يتحدث عن آداب النكاح بينما المحتل اليهودى الغاصب يحتل أولى القبلتين وثالث الحرمين ، والعدو الشيوعى الغاشم تجتاح دباباته أشلاء الرجال والنساء والأطفال فى الشيشان ؟ !

٣ — غياب المنهج الموضوعى :

إن الأداة الوحيدة لهضم الأفكار والمعانى تتمثل فى العقل ، لذلك على العاملين فى حقل الإسلام أن يحترموا عقول المخاطبين ، وأن يبنوا أفكارهم واستنتاجاتهم على أسس منطقية مقنعة وألا يفرضوا آراءهم ومواقفهم على المخاطبين دون أن يقدموا المبررات الشرعية ، والمنطقية لها ، فعندما يحارب الداعية الإسلامى ظاهرة ما ، يجب ألا يلجأ إلى السباب والشتائم فى معالجة هذه الظاهرة ، وأن يتجنب شحن الجمهور عاطفيا ضدها دون أن يقنعهم بها بشكل منطقى واضح نزيه ، فالعطواف عامل متغير يتأثر بالظروف المحيطه ، أما الاقناع المنطقى فهو عامل ثابت يستمد ثباته من الحقائق التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، والإنسان يحب بطبعة أن يتخذ موقفه بنفسه ، ويكره أن يفرض عليه أحد الموقف الذى يريده[1] .

ولكن الخطاب الدعوى اليوم ابتلى ببعض العاملين فى حقل الدعوة الذين يتخذون أسلوباً غريبا فى معالجتهم لمشا كل المجتمع، ألا وهو أسلوب التجريح والسب الشتم والهمز واللمز ، وبعض خطباء المسلمين يستعملون هذا الأسلوب فى معالجة القضايا الإسلامية على المنبر ، فيعلنون الحرب

(١) مقالات فى الدعوة والإعلام والإسلامى ص ٦٧

وتناقضات كانت الصدمة عليهم قوية . فانصب تفكيرهم على الهروب من مواجهة المجتمع ، وبات التفكير فى الردة واليأس من نجاح الإسلام فى قيادة المجتمع الحالى ... وبردة فعل مرتجلة وقع القفز بسرعة فائقة من الخطاب المكى التربوى لتصحيح عقيدة المسلمين وتنقيتها مما شابها من إنحرافات وتربيتهم تربية إسلامية واعية إلى الخطاب المطالب صراحة بتسلم السلطة السياسية لتطبيق حدود الإسلام والتمكين لأحكام شريعة الله فى جميع مجالات الحياة[1] .

ومن مظاهر غياب الواقعية إيضاً فى الخطاب الدعوى المعاصر قفز الدعاة على الواقع غير مكترثين بعاملى الزمان والمكان ، وهما السبب الرئيسى فى ذلك التضخم فى طموحاتنا .

إن للوقت دوراً هاماً فى إحراز النجاح ، كما للصبر أثره الفعال فى شفاء القلوب المريضة ، فهؤلاء يتعجلون النتائج ويستبطئون احراز الهدف وعندما فعلوا ذلك كان مثلهم كمثل الزارع الذى يحصد الثمرة قبل نضجها، فيكون بذلك قد خسر جهداً بذله فى زراعتها ، وخسر الثمرة التى قطفها قبل أو أن نضجها .

ومن مظاهر غياب الواقعية أيضا فى الخطاب الدعوى — المعاصر — المبالغة والتهويل فى وصفنا لأنفسنا أو فى نقدنا لخصومنا . . .

فنحن تارة نبالغ فى نقد الحضارة الغربية دون أن نبحث عن نقاط قوة فيها يجب أن نعرفها لمعرفة الخصم على حقيقته ، وهكذا بدأ البعض يلح على حتمية انهيار الحضارة الغربية الراهنة بسبب غلوها المادى وإغفالها

(١) مجلة الوعى الإسلامى عدد ٣٢١ سنة ١٤١٣ ص ٨٤

الجانب الروحى ، وطورا نبالغ فى التهويل من قوة الأعداء بينما الأمر لا يعدو أن يكون ضعفاً ثينا وليس قوة فى الاعداء[1] .

وطوراً نبالغ فى مدحنا لأنفسنا والاعجاب بمنجزاتنا ، ونبالغ فى التهوين من شأن العوائق فى مسارها ، حتى لاحظ أحد المراقبين للحركة الإسلامية أنها تهول فى المدح إذا مدحت ، وفى الذم إذا ذمت كما تبالغ فى الحب إذا أحبت والكرة إذا كرهت .

هذا التهويل أصاب العمل الإسلامى بالعقم والجمود والفتور[2] .

إضطرابه فى المفاهيم والمصطلحات :

اتسم الخطاب الدعوى — المعاصر — باضطراب فى المفاهيم خاصة على المستوى الإصطلاحى لبعض العبارات ،فلم يستطع أن يحسم مفهومات [الجماعة الأمة ، القومية ، الفكر الإسلامى الشورى ، الديمقراطية ، الحرية الوحدة ، الدين الدولة] مما نتج عنه اضطراب فى أفعال وتصرفات المنتسبين إلى العمل الإسلامى وإنتشار ظاهرة الخروج على العمل الجماعى، وظهور الفرق الإسلامية المتعددة والمختلفة المشارب ، الأمر الذى أفقد العمل الإسلامى مصداقيته عند أتباعه[3] . فلم يعرف هؤلاء دور الدعوه الإسلامية المتكامل فالدعوة الإسلامية ليست حركة تلقائية عفوية ، ولا مجرد وعظ للناس ، وتذكير بفضائل الإسلام وآدابه فحسب — كما

(١) المصدر السابق .
(٢) مجلة الأمة العدد ٥٣ ، ٥٤ ص ٧٧ ، ٨٦ .
(٣) المصدر السابق العدد ٥٣ ص ٧٧ .

فيها كثير من المسلمين ، ومارسها كثير من الدعاة فى العصور المتأخرة — وإنما هى كما كانت فى نشأتها الأولى حركة علمية وعملية ، تتميز فى مبادئها وأهدافها ومصادرها ، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة[1] .

ومن ثم فيجب على العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ، البيان الشافى الواضح للمصطلحات والمفاهيم التى تنطلق بها السنة الناس خاصة على المستوى الإصطلاحى لمنهجية الخطاب الدعوى المعاصر ، مثل الأمة ، والجماعة ، والفكر الإسلامى والحرية والوحدة والدين ، والشورى والديمقراطية — والثقافة الإسلامية وغيرها من المفاهيم التى لم تنل حظاً واقوراً فى عرضها ودراستها وبحثها بحثا يتناسب مع أهميتها فى الخطاب الدعوى فى العصر الحاضر .

٦ — اتصافه بالتجزيئية :

إن الدعوة الإسلامية دعوة شاملة استوعبت الحياة كلها ، والإنسان كله ، فى كل مراحل حياته ، وفى كل مجالات حياته ، لذلك وجب على العاملين فى حقل الدعوة ، الالتزام بهذا الشمول فى تطبيقه وفى عرضه ، لان هذا الشمول لا يقبل التجزئة ، وقد عاب القرآن الكريم على اليهود صفة التجزئة هذه ، وقرعهم الله تعالى أشد التقريع على ذلك قال تعالى : (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون)[2] .

(١) المدخل إلى علم الدعوة / البيانونى ص ٤ .

(٢) سورة البقرة ٨٥ — ٨٦ .

فلا يجوز الأخذ ببعض تعاليم الإسلام وترك البعض أوعرضها بطريقة تبعيضيه لأنها يكمل بعضها بعضاً فهى « كل » لا يتجزأ ، وقد إتصف الخطاب الدعوى المعاصر بالتجزيئة عند طرحه للمشاكل والبحث لها عن حلول ، فانبرينا نجزىء الإسلام كما أراده لنا الخصوم ، نأخذ هذا الجزء أوذاك منفرداً أو على حدة .

ثم نعمد إلى نقده وتجريحه غير مدركين أن كل جزء إذا نوقش على حدة يفقد الكثير من معناه ، ولا يصلح جزءا منطقيا أو صحيحاً ، فظهر بذلك كتب تحاول الدفاع عن موقف الشريعة من تعدد الزوجات مثلا كموضوع قائم بذاته دون وصفه ضمن الإسلامى ككل ، فجاءت الصورة بشعه ظالمة للشريعة السمحاء ، وظهرت كتب تحاول الدفاع عن موقف الإسلام من حق الملكية الفردية منزوعاً من الكل الإسلامى فكان ما بين أيدينا رأسماليا لا إسلاما .

فازمة الخطاب الدعوى المعاصر تتمثل فى التجزئة للقضايا الإسلامية بعيداً عن الشمولية التى امتازبها الإسلام فى كل قضاياه العقائدية والعبادية والتشريعية والأخلاقية وغيرها .[1]

٧ — قصوره عن الوصول إلى قلب المثقفين :

لو أدرك العاملون فى الحقل الإسلامى قيمة الكلمة وقيمة الوقت ، وأحترموا عقول الناس ، وادركوا رسالتهم الربانية التى تصحح العقائد وتكافح الجهالة ، وتطهر الدين من الشوائب والدخائل ، لما أعطوا

(١) الوعى الإسلامى نقلا عن الإسلام فى معركة الحضارة / منير شفيق ص ٨٧

الفرصة لأحد يطلق على خطابهم المسموع منه أو المقروء - بالخزعبلات إن مما يعيب الخطاب الدعوى اليوم قصوره عن الوصول والتغلغل فى قلب المثقفين ، هؤلاء الذين عزاهم الفكر الدخيل لخرف أفكارهم ومفاهيمهم وأثر فى مشاعرهم وولائهم ، ولازال قاصراً على إزالة ذلك السور الذى ضرب بين الحركة وبين الجماهير العريضة التى قامت الحركة أساساً لتنهض بهم وتأخذ بأيديهم ، وتعلم جاهلهم وتنصف مظلومهم ، والتى استطاع الخصوم الماكرون أن يخوفوا أعداداً منها — أى الجماهير — من يقظة الاسلام ورجاله ، ونشروا الأكاذيب حولها مما يزهدهم فيها ؟ .

إن : المتأمل فى أحوال الخطباء المعاصرين ، يجد أكثرهم لا يصلون إلى قلب المثقفين بسبب تقصيرهم ، فالخطباء المتحمسون يبالغون فى حماسهم ، وينفعلون عندما لا يطلب الانفعال ، ويطيلون عندما لا يستحق موضوعهم الإطالة ، ويعتقدون أن الخطابة هى شحن الجمهور بشحنات الحماس ، فيصولون ويجولون فى شعور المستمع دون أن يبلغوا عقله ، بينما الحقيقة هى أن الحماس وسيلة وليس غاية ، وأن المشاعر تأتى وتذهب بينما الأفكار هى الأبقى مادامت تجد مكانها فى العقل السليم .

والخطباء الهادئون يبالغون فى هدوئهم ، ويلقون خطبتهم وكأنهم يلقون محاضرة (أكاديمية) على صفوة من المثقفين ، فتصل المعانى إلى المستمع جافة باردة ، وقد يطيل الخطيب فى موضوعة ، وقد يخوض فى مواضيع بعيدة عن فهم الجمهور ، فيدب الملل والضجر فى نفوسهم .

والخطباء التقليديون يلقون عليك خطباً مكررة ، ويطرقون مواضيع محددة ، ولو غبت عنهم سنوات طويلة ، وعدت إليهم لوجدتهم

يعزفون على الوتر نفسه ويستعملون الأمثلة والتشبيهات نفسها التى استعملوها فى المرة الأولى ، وقد يتحدث هؤلاء عن أحكام الأضحية ، بينما ضحايا المسلمين فى كل مكان تملأ الطرقات والمحتل الغادر يهدد أرض الإسلام ، وبعبارة أخرى فإن هؤلاء الخطباء يقدمون لك خطبة باردة لا توقظ نائماً ولا تهدى تائهاً ، بل هى كلمات لملء الساحة وإتمام الفراغ (١) .

٨ — اتصافه بالجفاف :

إن المطلع على الخطاب الدعوى المعاصر يجده متسماً بالجفاف ، فأصبح المرأ لا يفرق بينه وبين خطاب الآخرين ، حيث أسقط البعد الغيبى عن صياغة حياة المسلمين ، مما أفقدهم مجرد الأمل الدافع إلى التغيير ، وعجز عن تفجير الطاقة الروحية الكامنة فينا والتى كان لها الفضل الأكبر فى تعبئة الجماهير المسلمة للجهاد والتضحية والبذل ، فانتصرت على هجمات التتار وغيرهم ممن كادوا للإسلام (٢) .

إن الخطاب الدعوى اليوم قد خلا — بعضه — تماماً من تحريك الوجدان أو ربطها بالحياة الباقية ، وما أعده الله تعالى للعاملين من جنات عرضها السماوات والأرض . . .

مما جاء واضحاً فى كتاب الله ، وفى سنة رسول الله — ﷺ — فنتج عن ذلك الخطاب الدعوى المعاصر بالجفاف .

---

(١) مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى ص ٦٠ — ٦١

(٢) الوعى الإسلامى العدد ٣٢١ سنة ١٤١٣ هـ ص ٨٦

٩ - التزامه بالموقف الدفاعى فقط :

اتسم الخطاب الدعوى المعاصر بالموقف الدفاعى لحماية ماتبقى من مكتسباتنا الحضارية ، متناسين أن الموقف الدفاعى هو نوع من أنواع الهزيمة ، لايقدر أن يبلغ بنا مرحلة الرشد ، فكان نتيجة ذلك أن كثرت التأليف فى هذا الباب حتى ملأت رفوف المكتبة الإسلامية لكنها لم تزد على أن عمقت فينا الاحساس بالألم والإحساس بالعجز عن مواجهة هذه الهجمة الشرسة على ثقافتنا وعقيدتنا وفكرنا[1] .

ولذلك فإننا لايمكن أن نكتفى بالفكر الوقائى الذى كان يقصد به الحفاظ على الشخصية الإسلامية فحسب ، بل لابد من اجتهادات مباشرة فى كل مجال من مجالات الحياة ، اجتماعياً ، أو إقتصاديا ، أو سياسياً . فى الداخل والخارج لابد من الإسهام فى حل المشكلات والقضايا ، وتقديم رؤية إسلامية لمنهج الإسلام فى الحكم ، والتعامل ، والتعاون الدولى الذى ينبغى أن يكون بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فلابد أن تتحقق صورة من هذا التعاون فى شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، والتعليمية ، والسياسية ، وعلى العالم الإسلامى أن يكون عالمياً ، ليواجه ذلك النشاط العالمى الممثل فى المبادئ التى صارت تعمل فى العالم فى صورة واحدة .

على العالم الإسلامى أن يقدم للعالم كله المنهج المتكامل للمسلمين ، لأن الإسلام لايعنى كليات ولايعنى شعائر وعبادات فقط ، ولايعنى عاطفة وعبادات فقط ، ولايعنى عاطفة غامضة ، وإنما يعنى برامج حياتية عملية .

هذه - تقريباً - أخطر المثالث التى يعانى منها الخطاب الرسمى المعاصر

(١) مجلة الوعى الإسلامى ٣٢١ سنة ١٤١٣ هـ ص ٨٧

علاج مثالب الخطاب الدعوى المعاصر :

إن تحقيق ثمرة هذا التصور الإسلامى للخطاب الدعوى ، بشموله وتكامله ، لن يكون إلا بمحاولة إزالة هذه المثالب التى أثرت على الخطاب الدعوى المعاصر .

وفى تصورى أن الوصول إلى تحقيق ذلك يحتاج إلى جهد كبير ، وعمل دؤب متواصل يتلخص فى عدة أمور منها :

١ - إعداد الكفايات الدعوية وتأهيلها .

إن أهم الوسائل للوصول إلى تحقيق خطاب دعوى مؤثر فى واقع الحياة هو إعداد الكفايات البشرية المتخصصة فى الخطاب الدعوى ، وتأهيلها فكرياً وخلقياً ، وعملياً ، ومهنياً .

إن الإنسان هو العنصر الأول فى إحداث أى تغيير مقصود والعناية بإعداد الكوادر الدعوية ، وتأهيلهم حتى يكونوا قادرين على تحمل هذه المسؤلية الضخمة ليس أمراً سهلا قليل التكاليف ، بل هو عمل كبير ، يتطلب جهوداً عظيمة وطاقات عديدة .

إن الطبيب الذى يداوى الأبدان ، يعد إعداداً كافياً ، فما بالك الداعية والموجه إن مهمته - ولا شك - أعظم ، ومسؤليته أكبر ، فوجب أن يكون تأهيله موازيا لهذه المسؤلية المنوطة به ولابد لإعداد هذا الداعية الذى يعمل على نشر الخطاب الدعوى من أن يتكامل هذه المنهج العلمى والعملى فى الجوانب الآتية :

(أ) الإعداد الأصولى والفكرى ، حيث يتعرف الداعية على

الأصول العقدية والتشريعية والفكرية للإسلام من خلال مجموعة من المقررات الشرعية فى القرآن والتوحيد والحديث والتفسير والثقافة الإسلامية والفقه .

(ب) الإعداد اللغوى نحواً وصرفا وبلاغة حتى يتمكن من فنون القول وأساليبه .

(ج) الإعداد التخصصى والعملى ، حتى يتكامل فيه الجانب النظرى مع الجانب العملى التطبيقى .

(د) الإعداد الثقافى العام ، فيكون على دراية بالواقع الذى يعيش فيه من حيث قضاياه ، وأحداثه ومشكلاته ، وتياراته .

٢ — تأصيل الخطاب الدعوى :

مايزال الإهتمام بتأصيل قواعد الخطاب الدعوى وممارسته من وجهة النظر الاسلامية محدودة والمطلوب أن يتصاعد الإهتمام العلمى بالخطاب الدعوى تأصيلا وتنظيراً ، ولعل من الأهمية بمكان أن تسير هذه الجهود العلمية التأصيلية وفق خطة مدروسة وتصور صحيح للأولويات . . ولابد أن تتوافر لهذا العمل التأصيلى إمكانيات بشرية ومادية ملائمة .

٣ — التنسيق بين الكوادر العاملة فى الحقل الدعوى :

لابد لنجاح الخطاب الدعوى من التنسيق فيما بين الكوادر العاملة ووضع الخطط الشاملة والتفصيلية فى مختلف المجالات والوسائل مع إعداد كوادر بشرية ناشئة وبراعم صاعدة بصفة مستمرة ، ولا شك أن العالم اليوم يمتلك من الخبرات والقدرات مايكفى لذلك ، إذا ماتعاونت وتضافرت الجهود المخلصة .

٤ — تجنب الخطاب العاطفى :

وحتى تعود للكلمة الدعوية فاعليتها ومردودها ، ويعود للخطاب الدعوى دوره المفقود ، علينا أن نتجنب كثرة الخطاب العاطفى فى تصريحاتنا ونلتزم الدقة والوضوح والفهم السليم لسنن الله فى الكون . ولا يعنى هذا إلغاء الجانب العاطفى من خطابنا بحيث يصبح خطاباً عقلانياً خالصاً بعيداً عن أى تأثير للمشاعر ، بل إن إحياء المشاعر الإيمانية وإلهاب العواطف الإسلامية جزء من رسالة الإسلام لابد منه لتوفير قدر من الحماس يدفع إلى العمل وإلى البذل ، إنما يعنى ذلك ألا تكون الانفعالات والعواطف هى الموجهة إلى خطابنا ، ذلك أن العاطفة تضر أحياناً أكثر مما تنفع ، وبدل أن تقود إلى تجمع واع تصبح مجرد إثارة ومجرد اتجاه مغلق يرفض كل تطور ويحصر جهده فى مقاومة المخالفة (١) .

وبصورة أوضح نقول : لابد أن يكون الخطاب الدعوى متكاملا ومتوازناً فلا يكون خرافياً ، ولا يكون علمانياً بحتاً ، بل يفسر سنن الله بمكانتها وفاعليتها فى كل الأمور التى تهم تضريف الحياة الدنيوية مع عدم إهمال الجانب الغيبى والجانب الإيمانى إذا اعتبرنا أننا أمة مؤمنة وأن الإيمان مفتاح شخصية هذه الأمة ويعبر طاقاتها . . . ويكون متكاملا ، فلا يهتم بالمشاغل الدنيوية للعباد سياسة إقتصاد . . . إلخ ويهمل الجانب الأخروى أو العكس . . .

ويكون الخطاب الإسلامى معتدلا لا يميل يميناً ولا يساراً ،

---

(١) مجلة الأمة العدد ٦٢ ص ٤٨

يأخذ بالعزائم ولا يغفل الرخص ، يبشر ولا ينفر ، ييسر ولا يعسر ، يجمع بين العلم والإيمان ، بين الواقعية والمثالية . بين الثابت على الغايات والتطور فى الأساليب . . . لا ينقطع عن الماضى ولا ينعزل عن الحاضر [١] .

٥ — أن يكون الخطاب واقعياً :

إن الإسلام هو كلمات الله الباقية لجميع البشر ، وهو الهداية الخالدة للأحمر والأسود ، وهو الرحمة الشاملة للعالمين ، ولهذا ضمنه الله من التعاليم ما يليق بحال البشر أينما كانوا ومتى كانوا وكيف كانوا .

ولا غرو أن راعى الخطاب الدعوى الواقع فى كل ما دعا إليه الناس من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات وتشريعات .

والخطاب الدعوى لا يكون واقعياً إلا بدراسة واقع الأمة الإسلامية وواقع القوى المعادية ، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعاً وتحليلها من منظور علمى موضوعى ، وبتوجيه المواهب إلى التخصص على أعلى المستويات فى مجالات الحياة كلها حتى يمكن لكل فرد أن يتكلم فى اختصاصه بدلا من أن يتكلم فى كل شىء ولا يفهم أو يفهم شيئاً [٢] .

وواقعية الخطاب الدعوى تعنى كذلك تحرى الصدق والتزام الأمانة فى كل ما يقال أو يكتب ، فيتجنب الإسراف فى وصف المجتمع بالكفر والالحاد والخروج عن الدين إلا إذا كان واقعاً فعلا . . . ويتجنب

(١) مجلة الأمة عدد ٣٦ ص ٥٣ (٢) نفس المرجع عدد ٥٦ ص ٩٢

الاسراف فى التهويل من قوة العدو أو الاستخفاف بها .

كما قال القائل :

لا يستخفن الفتى بعدوه أبداً وإن كان العدو ضئيلا
إن القذى يؤذى العيون قليله ولربما جرح البعوض الفيلا

ومن الواقعية فى الخطاب الدعوى أيضاً ألا نسرف فى مدحنا لأنفسنا أو التنقيص من إنجازاتنا ، بل المطلوب أن ننطق الحق ولا نخاف فى الله لومة لائم .

٦ — تلاؤمه مع طبيعة العصر :

إن التقدم العلمى فى العصر الحديث يتزايد يوماً بعد يوم بصورة كبيرة وحتى يؤتى الخطاب الدعوى الثمار المرجوة منه فى هذا العصر عليه أن يتسلح بما يتلاءم وطبيعة العصر والفكر ، ذلك « لأن المخاطبين اليوم أصبحوا على درجة من التعقيد جعلت أى خطاب غير مدروس دراسة وافية لا يصل إلى نصف الهدف المنشود » [١] .

فنجد المخاطبين يلقون أسئلة كثيرة تحتاج إلى تحديد بعض المفاهيم فينبغى أن يجاب عليها إجابات مقنعة ، ولا يلجأ إلى التعميم والتلفيق كذلك ينبغى أن يحذر العاملون فى حقل الدعوة من الافراط فى إستعمال كل الوسائل المتاحة وبخاصة الكلمة المكتوبة والصورة المرئية التى تغنى عن ألف كلمة ، والتى تعتبر وسيلة أكيدة وفعالة لتعزيز الكلمة المكتوبة لأقوام شتى قد لا يسعفنا التحرك إليهم .

(١) مجلة الأمة العدد ٦٣ ص ٩٦

والمطلوب أن ينتفض الجيل الدعوى المعاصر إنتفاضة الحياة ، ويشرع فى خدمة الإسلام الخدمة العلمية المناسبة لهذا العصر .

٧ ـ تجنب التعجيزية فى طرح القضايا الدعوية :

ومن أهم الأمور التى ينبغى مراعاتها فى الخطاب الدعوى المعاصر تجنب الخاصية التجزيئية فى طرحه للمشاكل وحلولها، ذلك أن الإسلام ـ كما أكد الواقع ـ كل لا يتجزأ ولا يتبعض بل إن محاولة تجزئته وتبعيضه هى محاولة لضربه فى الصميم .

إن الإسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حيوية لا تجعل من الممكن أن يفهم أى جزء على حده وإنما ضمن وضعه فى الإطار العام أو من خلال علاقته بالوحدة الكلية أى بالأجزاء الأخرى مجتمعة فى آن واحد[1] .

٨ ـ أن يتجاوز الخطاب الدعوى ـ الموقع الدفاعى :

وحتى يعود للخطاب الدعوى دوره المؤثر ، يجب أن يتجاوز الموقع الدفاعى ذلك أن الا كتفاء بالدفاع كما بينا هو نوع من الهزيمة لا يستطيع أن يبلغ بنا مرحلة الرشد . . . ويمكن القول أن سلاح الأدب الدفاعى أو الفكر الدفاعى بحجمه الطبيعى وكونه واقعاً ضمن إرادة الأمة ومتروكا لاختيارها واختيارها أمر طبيعى وواقع مستمر ، ولازم لبقاء الأمة واستمرارها ، والمواجهة الدفاعية يمكن أن تشكل مرحلة من حياة الأمة .

(١) مجلة الوعى الإسلامى ص ٨٨ ، ٨٩ عدد ٣٢١ نقلا عن الإسلام فى معركة الحضارة منير شفيق .

وهذا أمر طبيعى وسليم . . ولكن أن تكون مرحلة الأدب الدفاعى هى البداية والنهاية ، ويكون السلاح الدفاعى هى البداية والنهاية ، ويكون السلاح الدفاعى هو كل ما تستخدمه الأمه من أسلحة ، فهنا تكمن المشكلة ونحدث الخطورة التى نحذر منها[1] .

٩ ـ وصول الخطاب الدعوى إلى قلوب الجماهير :

الخطاب الدعوى هو أقوى قنوات الإتصال تأثيراً ، وأوسعها إنتشاراً فى حقل الدعوة ، فلا بد أن يصل إلى قلوب الجمهير التى هى أولى الجهات بالتعبير عنها ، وينبغى أن يقدم جهداً أكبر مع النخبة المثقفة خاصة ، فيخاطبها بلسانها ليبين لها ويرد شبهاتها بالعلم لا بالإتهام ، ليزيل حاجز الغربة ، ويكسر هذا السور المفتعل ، ولنعلم أن الحركات التغييرية لن تنجح إلا يوم أم تكون حركة كل الجماهير لا حركة فئة من الناس[2] .

ولا شك أن دون معالجة هذه النواقص عقبات عديدة نذكر منها أهمها[3] :

(١) نظرات فى مسيرة العمل الإسلامى / عمر عبيد حسنة ص ٣٧ كتاب الأمة

(٢) مجلة الأمة العدد /٥٧ ص ٨٢

(٣) الوعى الإسلامى العدد ٣٢١ ص ٨٩ بتصرف

١ — إفتقاد القدوة المؤثرة :

التى يتوازن فيها الفكر النظرى مع الممارسات السلوكية ، وذلك يرجع إلى ضعف التعامل مع المنهج الذى خرج الأوائل، ثم تقدس تلك النماذج واجترار أفكارها وأساليبها دون النظر إلى المتغيرات التى بدلت وجه الحياة وأوجدت واقعاً جديداً يحتاج إلى طريقة فى التعامل جديدة وفكر يتناسب معه .

٢ — إفتقاد الإسلام المطبق فى الحياة الإجتماعية :

فنحن هنا أمام ظاهرة مستعصية أصبحت من نوع الغريزة الثانية التى لا تنحل بالوعى الدينى المجرده بل تزداد لأننا نكتب وندعو إلى إسلام غير مجسد فى واقع ما ، وغاية ما نطمع إليه أن نطالب المدعوين كى يعانقوه من التاريخ .. إن الدعوة إلى الإسلام بدون أنموذج اجتماعى مطبق أو على الأقل بدون برامج متكاملة ودقيقة يكون أشبه بمن يدعو لاعادة مجد روما .

٣ — جهل الناس بأمور دينهم :

واحترام كثير من المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، من أكبر العوائق التى تمنع بلوغ الخطاب الإسلامى مبتغاه ، ويصبح الداعى المسلم كمن يخاطب أناساً صماً وبكما .

٤ — نشاط العدو المتربص بالحركة الإسلامية :

من الأمور التى تعوق هذا العلاج العدد المتربص ، والذى يترقب حتى تنتهى من حل مشكلة ليرمى لها بمشكلة أخرى تشغلها عن الإلتفات إلى أهم مشكلاتها وإلى الإهتمام بتحسين وتطوير وسائل عملها ، حتى

يعوق تقدمها الملحوظ ، ويوقف مسيرتها الدائمة المستمرة .

وهذا العدو على اختلاف مشاربه يعمل ليلا ونهاراً ، للحيلولة بين العمل الإسلامى وخطابه المؤثر .

٥ — غياب التنسيق :

من الأمور التى تعوق علاج مثالب الخطاب غياب التنسيق بين مختلف الحركات الآسلامية المتواجدة على الساحة ، وتوحيد أعمالها كواجهة العدو المشترك من أيضا فإن ذلك من أخطر العوائق فى طريق وصول الخطاب الدعوى وتأثيره على قلوب المدعوين وعقولهم .

وبعد : فإن موضوع الخطاب الدعوى موضع واسع اتساع الحياة ، لأن الدعوة الإسلامية دعوة شاملة الإنسان كله فى جميع أطوار حياته ، وإذا أردنا أن نسأل فى النهاية : ماذا نريد من الدعاة فى العصر الحاضر ؟ فإنى أجمل الإجابة فى الآتى :

١ — أن يكونوا دعاة حق وجهاد ، يتأسون بصحابة النبى ﷺ ورضى الله عنهم فى جهادهم فى كل ميدان ومعركة ، وصراعهم الدائم مع أعدائهم ، ومقاومتهم للباطل بشتى وسائل الجهاد وأسلحته ، وأن تكون نفوسهم رخيصه يبيعونها لله عز وجل بجنة عرضها السماوات والأرض . . همهم فى الحياة دينهم وأمتهم ، وخيرهم الذى يقدمونه للناس ليعودوا إلى الله ويتوبوا إليه .

٢ — أن يكونوا متوازين معتدلين يؤدون حق ربهم وأنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ، — لأنهم قدوة لغيرهم — فعليهم أن يعلموا المدعو كيف يأخذ بالعزائم ، ولا يغفل الرخص ، عليهم أن يبشروا ولا ينفروا ، ويسروا ولا يعسروا .

٣ — أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، وذلك لا يكون إلا بالرفق، فكما قال يحيى بن معاذ الواعظ: «أحسن شيء: كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رقيق».

إلى غير ذلك من أمور — جاءت من خلال هذا البحث المتواضع — ينبغي أن يراعيها العاملون في حقل الدعوة في هذا العصر.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتي يوم القيامة، وأن ينفع به كل عامل في حقل الدعوة الإسلامية، اللهم آمين.

اهم المراجع

القرآن الكريم.

١ — الإجتهاد المقاصدي — حجيته — ضوابطه — مجالاته د. نور الدين مختارين مختار الخادمي — كتاب الأمة.

٢ — أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق — د. محمد كنعان — كتاب الأمة.

٣ — اشكاليات العمل الإسلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية — د. محي الدين عبد الحليم — كتاب الأمة.

٤ — أضواء على الثقافة الإسلامية د. مصطفى أحمد أبو سمك. مطبعة الفجر الجديد منشية ناصر.

٥ — الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين / علي عجوة — مركز صالح كامل للإقتصاد الإسلامي.

٦ — تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الإجتماعي — حسن إبراهيم حسن ط ٤ مكتبة النهضة المصرية.

٧ — تفسير المنار / محمد رشيد رضا / دار المعرفة بيروت لبنان.

٨ — التفسير الوسيط د. محمد سيد طنطاوي / مطبعة السعادة.

٩ — حولية أصول الدين العدد ١٦ سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٠ — الخطاب العربي المعاصر / د. محمد عابد الجابري.

١١ — الدعوة قواعدة وأصول / جمعة أمين عبد العزيز / ط دار الدعوة.

١٢ — الرأى العام فى الإسلام د. محى الدين عبد الحليم ط ٢ دار الفكر العربى سنة ١٩٩٠م.

١٣ — روح الدين الإسلامى / عفيف عبد الفتاح طبارة — دار الملايين بيروت.

١٤ — صحيح البخارى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ط. سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م دار الكتب العلمية بيروت.

١٥ — صحيح مسلم / للإمام بن الحجاج النيسابورى ط عيسى البابى الحلبى — القاهرة.

١٦ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى / بن حجر العسقلانى دار الريان للتراث.

١٧ — فقه الدعوة الفردية د. على عبد الحليم محمود دار الوفاء.

١٨ — اللؤلؤ والمرجان فيم اتفق عليه الشيخان / محمد فؤاد عبد الباقى/ الزيان للتراث ط، سنة

١٩ — مثالية الدعوة والداعية / عبد الحفيظ فرغلى على — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مطابع الأهرام التجارية.

٢٠ — مجلة الأمة.

٢١ — مجلة الوعى الإسلامى.

٢٢ — المدخل إلى علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانونى — مؤسسة الرسالة.

٢٣ — المدخل لمعرفة الإسلام — د. يوسف القرضاوى ط، مكتبة وهبه.

٢٤ — مشكلات الشباب الحلول المطروحة والحل الإسلامى د. عباس محجوب كتاب الأمة.

٢٥ — مقالات فى الدعوة والإعلام الإسلامى — نخبة من المفكرين والكتاب كتاب الأمة.

٢٦ — مع الله دراسات فى الدعوة والداعية / الشيخ محمد الغزالى / دار الكتب الإسلامية ط الخامسة سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٢٧ — من كنوز السنة محمد الصابونى — دار الفتح الإسلامى.

٢٨ — الموافقات فى أصول الشريعة / الإمام الشاطبى ط دار الفكر العربى.

٢٩ — فى ظلال القرآن / سيد قطب — دار الشروق.

٣٠ — نظرات فى مسيرة العمل الإسلامى / عمر عبيد حسنة — كتاب الأمة.

فهرس

البحث	رقم الصفحة
المقـــدمة	
بقلم : أ.د / عميد الكلية	
١ — كيف يعمل القرآن فى هذا العصر فى رؤية بديع الزمان النورسى	٩ — ٣٦
بقلم : أ. د / عبد المعطى محمد بيومى	
٢ — أسباب الانحراف فى تفسير القرآن الكريم	٣٧ — ١٠٦
بقلم : د / السيد إسماعيل على سليمان	
٣ — الخشية فى القرآن الكريم « دراسة موضوعية »	١٠٧ — ١٦٦
بقلم : د / طه عبد الخالق عبد العزيز طيطة	
٤ — رسم المصحف ودفع الشبهات التى أثيرت حوله	١٦٧ — ٢٧٨
بقلم : د / عبد الفتاح عبد الغنى محمد إبراهيم العوارى	
٥ — بحث فى تفسير معانى الفتنة فى القرآن الكريم	١٧٩ — ٣٤٠
بقلم : د / عبد الرحمن محمد عبد الله	
٦ — المجهول والمبهم وحكم روايته	٣٤٠ — ٤٠٦
بقلم : د / الخشوعى الخشوعى محمد الخشوعى	
٧ — أسباب أختلاف الروايات فى الحديث النبوى	٤٠٧ — ٤٣٤
بقلم : د / مصطفى حسن أبو الخير	
٨ — أبو هريرة الدوسى وأسباب تفوقه فى حديث النبى ﷺ	٤٣٥ — ٤٧٦
بقلم : د / عبد الله عبد الحميد منصور	

البحث	رقم الصفحة
٩ — المسئولية والجزاء فى الكتاب والسنه بقلم : د / حصه أحمد الغزال	٤٧٧ — ٥٥٠
١٠ — تعليقات وتعقبات الحافظ ابن حجر على المستدرك للحاكم الجزء الأول من خلال كتابه « اتحاف المهرة » إعداد / محمد إسحاق محمد إبراهيم	٥٥١ — ٦٣٠
١١ — نظرات فى قضية البعث بقلم : د / سيد فرج عبد الحليم	٦٣١ — ٧٤٤
١٢ — أصول نظرية المعرفة عند إمام الحرمين الجوينى إعداد / د / يوسف محمد محمود الصديق	٤١٩ — ٤٧٧ ، ٧٤٥ — ٧٩٦
١٣ — البشارة برسول الإسلام ﷺ فى الكتاب المقدس بقلم : د / عبد الرحمن جيرة عبد الرحمن التومى	٧٩٧ — ٨٦٠
١٤ — الخطاب الدعوى بين سماته الأصلية وأزمته العصرية بقلم : د / مجدى عبد الغفار حبيب	٨٦١ — ٩٣٠
الفهرس	٩٣١ — ٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب
٦١٣٣ لسنة ٢٠٠٠
فى يوم ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٠